



وزارة التربية

٦٧

# تفصيل القرآن الكريم

(الحروف السادس والعشرون)  
للفصل الثاني المتوسط بالتعليم العام  
و بما في مستوى







وزارة التربية

# تفسير القرآن الكريم

٤٦

(الجزء السادس والعشرون)

للفصل الثاني المتوسط بالتعليم العام

وما في متناوله

تأليف

محمد محمد عبد الحليم الشيخ (شرفنا)

محمد سلامة حبر

محمد عبد العزيز عطية

الطبعة الثالثة

١٤٢١هـ

٢٠٠١ - ٢٠٠٠م

حقوق التأليف والطبع والنشر محفوظة لوزارة التربية مركز البحوث التربوية والملاعج  
وحدة الملاعج

الطبعة الأولى - ١٩٨٦ - ١٩٨٧ م

الطبعة الثانية - ١٩٨٨ - ١٩٨٩ م

الطبعة الثالثة - ١٩٩٠ - ١٩٩١ م

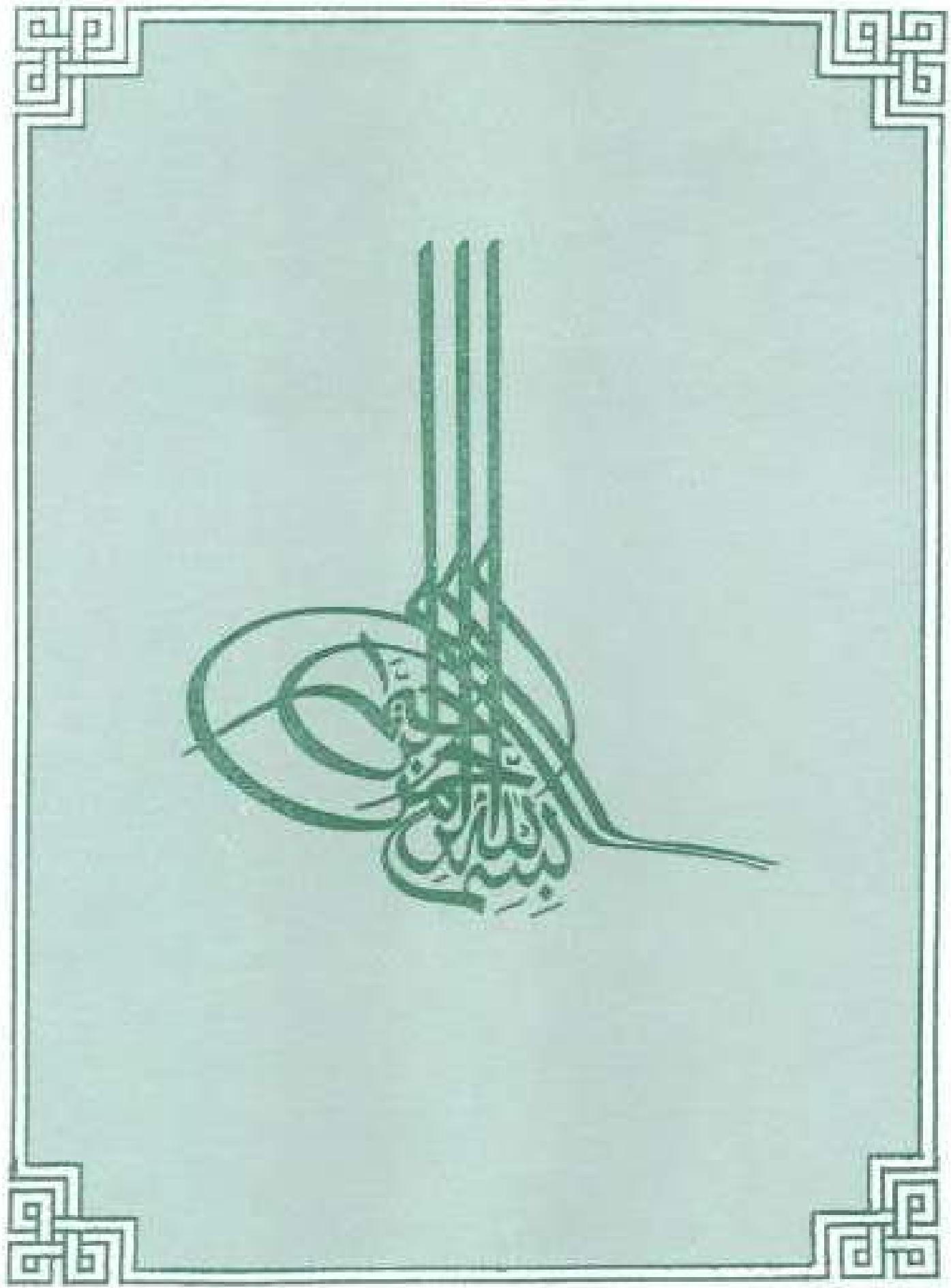
م ١٩٩٤ - ١٩٩٣

م ١٩٩٨ - ١٩٩٧

م ٢٠٠٠ - ١٩٩٩

م ٢٠٠١ / ٢٠٠٠

م ٢٠٠٤ / ٢٠٠٣





## محتوى الكتاب

### الصفحة

### الموضوع

٧

المقدمة

٩

سورة الأحقاف

٥١

سورة محمد

٨٦

سورة الفتح

١٢٦

سورة الحجرات

١٥٠

سورة ق

١٨٣

سورة الزاريات



二十九

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين  
نذيراً، وأشهد أن لا إله إلا الله الذي جعل في السماء بروحاً  
وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً. ونصلى ونسلم على من أرسله  
الله بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله، وجعل له من  
لدنه سلطاناً تصرّاً.

امان سعید

فَسَأِلَ اللَّهُ أَنْ يَتَقْبِلَ مَا عَمِلْنَا هَذَا، وَيَجْعَلَهُ فِي حَسَائِنَاهُ،  
وَيَتَجَوَّزْ بِرَحْمَتِهِ عَنْ سَيِّئَاتِنَا، وَنَسَأِلُهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَنْفَعَ بِهِ كَاتِبُهُ  
وَفَارِئُهُ وَمَنْ أَعْنَانْ عَلَيْهِ . . .

والحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى .  
الملائكة

میرا نویسندگان



## سورة الأحقاف

التمهيد :

سورة الأحقاف من سور المكية؛ لذلك نرى عند التأمل في آياتها اثنتان على (arkan العقيدة - الرسالة - اليوم الآخر). وفي مطلع السورة يقرر الله - سبحانه وتعالى حقيقة جلية واضحة لكل ذي بصر وبصرة، ولا تخفي إلا على من لا يفكر بعقله، ولا يتأمل بقلبه، وتلك الحقيقة هي تفرد - سبحانه وتعالى - بخلق السموات والأرض وما بينهما، واستحقاقه العبادة بعها لذلك.

فالأيات الست الأولى من سورة الأحقاف فيها بيان للحقيقة الكبرى في هذا الوجود، وهي وحدانية الله، واتصافه بصفات الكمال: من العلم المحيط، والعزة القاهرة، والقدرة المهيمنة، والتفرد بالخلق. ومع هذا الواضح والإعجاز في الخلق، يتحدى الجاهلون السفهاء آلة من دون الله. فهل يتصور عقل العاقل أعظم جهلاً وضلالاً من هؤلاء الذين يعبدون من لم يخلقوا جناح بعوضة؟ . وليس لهم قدرة على التصرف بشيء في هذا الوجود . وهم عاجزون عن إغاثة المستغيثين؟!

و حين يجمع الله الناس للحساب تكشف الحقيقة التي عمي عنها الكفار في الدنيا، ويتبادل الآباء والمتوعدون الساب

واللعن ، كما قال تعالى :

۝... ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِعَضًا وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا (١٢) ۝

كما عرضت السورة ما أثاره المشركون من شبه حول القرآن الكريم بأنه سحر وأضع لا شبهة فيه ، وإن محمدا - صل الله عليه وسلم - افتراء من عند نفسه ، ونسنه إلى الله . ثم ردت عليهم بالبراهين الساطعة التي تبطل مزاعمهم الفاسدة . مستشهدة بموقف من هادي من بنى إسرائيل إلى الحق واعترف حين رأى القرآن مصدق لما في كتاب (موسي) من حق ، ومشيرة بعد ذلك إلى عنادهم وإصرارهم على التكذيب على الرغم من شهادة قلن اعن من أهل الكتاب .

ثم ياتي الحديث عن شخصيتين مثيلان نموذجين من البشر في حال استقامتهما الفطرة ، وفي حال انحرافها . فال الأول ورع تعني معترف بنعم الله ، شاكر لفضله باز بوالديه ، يزداد بتقدم العمر هداية واحسانا ووفاء ورضا . والثانى فاجر شقي متمرد على ربه وعلى والديه ، منكر للنعم ، عاق لأبيه ، كافر بالبعث والآخرة ، وهو يزداد مع الأيام كفرا وعنادا وعقوفا وجحودا .

ثم تستقل السورة إلى قصة عاد مع نبيهم (هود) - عليه السلام - وإهلاكهم بالرياح العقيم ، متذرة أهل مكة ومحددة

(١٢) سورة العنكبوت الآية ١٢

إياهم من مثل مصيرهم .

وتشتمل كذلك على قصة نفر من أجنن استمعوا لهذا القرآن وتأثروا به ، وعلموا أنه الحق ، فآمنوا ، وعادوا إلى قومهم منذرين داعين إلى الإيمان بالله وكتابه ورسوله . وفي قصتهم ما يجعلنا نؤمن بعالم الجن ، ونعلم أن منهم من آمن ومنهم من كفر . وفي الآية الأخيرة يأمر الله تعالى نبيه محمدا - حصل الله عليه وسلم - بالصبر على أذى قومه ، كما صبر أولو العزم من الرسل ، وبعدم استعجال العذاب لهم ، فالله يهمل ولا يهمل ، والعاقبة للمتقين .

\* \* \*

من الآية (٦) إلى الآية (١) من سورة الأحقاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَدَّ ① تَعْرِيْلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ  
 مَا خَلَقَ النَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا يَنْتَهِ إِلَّا بِالْحَقِيقَ  
 وَاجْلِ مَسْعِيٍّ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْنَاهُ اتَّهَادُوا مَعْرِضُونَ ②  
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا يَنْدَعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرْوَى مَاذَا خَلَقُوا مِنْ  
 الْأَرْضِ أَمْ هُمْ يُشْرِكُونَ فِي الْمَرْءَاتِ أَتُرَى يَكْتُبُ مِنْ  
 قَبْلِ هَذَا أَوْ أَنْتَرَهُ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ③ وَمَنْ  
 أَقْلَى مِنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يُسْتَجِيبُ لَهُ إِنْ  
 يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِيهِمْ غَنِيَّلُونَ ④ وَإِذَا حَسِرَ  
 النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءَ وَكَانُوا يَعْبَادُونَ مَنْ كَنْفِرُونَ ⑤

معاني الكلمات والجمل :

حَمَّ : هي مما استأثر الله تعالى بعلمه، فنسلك

عن الخوض في معناها. وقيل: هي حروف للتحدي وإثبات الإعجاز.

العزير : القوي الذي لا يغلبه غالب، وعكسه «الدليل».

الحكيم : المنصرف في ملكه على مقتضى الكمال والعدل، وعكسه الصفيه الذي لا يحسن التدبر.

بِالْحَقِّ : إقامة الحق والعدل.  
وأجل مسمى : وقت معلوم هو يوم القيامه.  
عما اندر وا يعرضون : منصرفون عن التفكير فيما اندرناهم من العذاب وأهوال الآخرة.

أرأيتم ما تدعون : أخبروني عن الأصنام التي تعبدونها،  
من دون الله وترعمنون الوهيتها.

أم لهم نصيب ومشاركة في تدبير  
السموات؟ والاستفهام للتوجيه.

أثاره من علم : بقية من علم الأولين تشهد لكم بصحة زعمكم.

يُدعى من دون الله : يَتَغَيَّبُونَ بِالْأَصْنَامِ الَّتِي لَا تَسْمَعُ وَلَا  
مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ تَغَيَّبٌ  
وإذا حشر الناس : جُنُوا للحرب.

ما المراد بهذه الحروف المقطعة في مطلع بعض سور؟

في الآية الأولى تحديد لما سببه سبحانه في الآيات التالية، وفيها تنبيه لعبادة إلى حسن الاستماع إلى ما يتلوه عليهم الرسول الكريم من الآيات والذكر الحكيم وقد تكون تنبيها للسامعين إلى إعجاز القرآن الكريم، وأنه كلام يعجز البشر عن محاكاته على الرغم من أن أسلوبه لم يخرج في بنائه عن هذه الحروف الحجائية التي يصوغون منها كلامهم. ولذا أتبعها بقوله سبحانه : «تَرَبَّلُ الْكِتَابُ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ①» مشيرا إلى أن هذا الكتاب ليس في مقدور الناس أن يأتوا به مثله؛ لأنه كلام الله العزيز في ملكه وسلطانه، الحكيم في صنعه وتدبره.

المتحقق للعبادة إنما هو الحال :

إن مُتَرَّلُ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ وَالْحَكْمَةِ هُوَ حَالُّ الْمُؤْمِنِ  
وَالْأَرْضِ وَمَا يَنْهَا بِالْحَقِّ وَالْحَكْمَةِ، فِيَا كَانَ هَذَا الْخَلْقُ عَثَّا وَلَا  
هُوَا، وَإِنَّمَا صَنَعَهُمُ اللَّهُ؛ لِيَدْلِيَ خَلْقَهُ عَلَى الْحَقِّ الَّذِي يَرِيدُهُ،  
وَعَلَى الْقَدْرَةِ الْبَاهِرَةِ، وَأَنَّ الَّذِي بَدَا الْخَلْقَ حَدَّدَ نَهَايَتَهُ وَفَرَّ  
إِرَادَتَهُ سَبَحَانَهُ وَحَكَمَتْهُ، حَيْثُ يَتَمَّ مَا قَدْرَهُ اللَّهُ هَذَا الْكَوْنُ مِنْ

غاية، وذلك بحلول الأجل المعلوم المسمى عند الله حين يؤذن  
بقيام الساعة، فتبدل الأرض غير الأرض والسموات . وهذا  
مصدق قوله تعالى : « وَالشَّسْنُ تَجْرِي لِمُسْتَقِرٍّ لَّهُ ذَلِكَ تَقْدِيرُ  
الْعَزِيزِ الْعَلِيِّ »<sup>(١)</sup> . أي تجري لوقتها المحدد، والأجل لا  
يعدوه<sup>(٢)</sup> ، فالمراد بمستقرها هو متيهي سيرها ، وهو يوم القيمة،  
إذ يبطل سيرها، وتسكن حركتها، وتكون، وينتهي هذا العالم إلى  
غايتها<sup>(٣)</sup> .

#### الأعراض والمعاندة :

وبعد ذلك البيان الواضح المشرق، يقول تعالى : « وَالَّذِينَ  
كَفَرُوا أَعْنَمُوا إِلَيْهِ رُوأْتُمْ عَرْجَوْنَ »<sup>(٤)</sup> .

والإنذار الذي أعرض عنه الكفار هو الأجل المسمى الذي  
جعله الله نهاية لدار الدنيا، ومدخلًا لدار الآخرة، حيث تجري  
كل نفس بما عملت . « وَنَصَّعُ لِلنَّاسِ رِزْقَنَا الْقَسْطَ لِيَوْمَ الْقِيَمةِ  
فَلَا يَنْظَمُنَّ أَعْسَانُهُمْ وَإِنْ كَانُوا يُنْهَا لَهُ حَيَاةً مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا هُنَّا وَسَكَنَ  
بِالْخَيْرِ »<sup>(٥)</sup> .

#### ضلالهم في العبادة دون دليل :

وبعد ذكر أعراض المشركين، وعدم مبالاتهم بالندير،

(١) سورة سرطان الآية ٣٩

(٢) فهرس تفسير ابن كثير ١-٢ ص ٦٧٥ دار القرآن الكريم، بيروت

(٣) سورة الأسرار الآية ١٧

طلابهم سبحانه بالدليل الذي جعلهم يعبدون غيره من لم يخلقوا شيئاً، ويتركون عبادته، وهو الذي خلقهم، ورزقهم، وخلق ما فوقهم وما تحتهم، وعلى هذا يكون المعنى:  
هاتوا أيها المتخذون لها غيري برهاناً وأضحاً من كتاب سابق، أو بيته من علوم الأولين، يشهد لكم بصحة زعمكم، إن كنتم صادقين في دعوى مشاركتها لله تعالى.

ثم بين سبحانه أن أشد الناس ضلالاً وانصرافاً عن الحق هم أولئك الذين يدعون من لا يستجيبون لهم، ويستغيثون من لا يملكون إغاثتهم، ويتوجهون بالدعاء والنداء إلى من لا يبالون بهم؛ لأنهم إما أصنام حجرية لا تعي، أو أصنام بشرية لا حول لها ولا قوة.

#### خاصة الأتباع والمتبوعين:

في الآيات دلالة واضحة قطعية على ضلال المشركين، وسقوط رجائهم بآفاههم، وخيالية ظنهم في حمايتها ونصرتها لهم، وذلك لا ينكشف لهم بوضوح وجلاء إلا يوم القيمة، حين لا تملك نفس لنفس شيئاً، والأمر يومئذ لله.

ويوضح معنى الآية المذكورة قوله تعالى: **إِذْ تَبَرَّأُ الظَّالِمُونَ**  
**أَتَيْعُرُّ مِنَ الَّذِينَ أَتَيْعُرُّ وَرَأُوا الْعَذَابَ وَنَقْطَعَتْ يَوْمُ الْأَبْلَافَ** ①  
**وَقَالَ الَّذِينَ أَتَيْعُرُّ لَوْلَا لِنَاسَةٍ مُّسَمَّةٍ كَانُوا مِنَ الظَّالِمِينَ** يُرِيدُونَ

أَلَّا يَأْتِيهِمْ حَرَبٌ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِغَيْرِ جِنِينَ مِنَ النَّارِ<sup>(١)</sup>

وفي هذا من الحسرة وخيبة الرجاء ما لا مزيد عليه. وتسأل  
الله أن يعيذنا منه.

رَبَّنَا لَا تُرِّعْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا وَهَبْ لَنَا مِنَ الدُّنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ  
الْوَهَابُ<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

(١) سورة العنكبوت الآيات ٣٦-٣٧

(٢) سورة آل عمران الآية ٩٥

من الآية (٧) إلى الآية (١٤) من سورة الأحقاف

وَإِذَا نَشَأْتَ عَلَيْهِمْ مَا يَنْتَهِي إِلَيْكُمْ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ  
 لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِرْرٌ مِّنْنَا أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَا قُلْ  
 إِنَّ أَفْتَرَنِي رَبِّي فَلَا تَعْلَمُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا حُوَّا عَلَيْهِمَا  
 تَفِيقُوْنَ فِيهِ تَكُونُ بِهِ شَهِيدًا بِهِنِّي وَبِهِنَّكَ وَهُوَ الْغَفُورُ  
 الرَّحِيمُ ⑦ قُلْ مَا كُنْتُ بِدُعَائِي مِنَ الرَّسُولِ وَمَا ادْرِكَتِي  
 مَا يَعْلَمُ بِي وَلَا يَكْرَهُ إِنْ أَتَيْتُهُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا  
 إِلَّا نَذِيرٌ مِّنْنَا ⑧ قُلْ أَرَعِيهِمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ  
 وَكَفَرُمُوهُ وَشَهِيدٌ شَاهِدٌ مِّنْ بَيْنِ يَمْنَانِ دِيلٍ عَلَى مِثْلِهِمْ  
 فَعَامَنَ وَأَنْكَبَرَمْ ⑨ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهِيدُ النَّقْوَمَ الظَّالِمِينَ ⑩  
 وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ نَعْمَلُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا  
 إِلَيْهِ وَإِذَا لَرْجَعُوا إِلَيْهِ فَيَقُولُونَ هَذَا إِلَكْ تَهْدِيمٌ ⑪  
 وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْ مُوسَى إِلَيْهِمَا وَرْحَةً وَهَذَا كَتَبْ  
 مُصَدِّقٌ لِّمَا أَنَا عَرِجْتُ بِهِ إِنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبِسْرَى

لِلْمُحْسِنِينَ ⑩ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ أَسْتَقْبَلُوْا  
 قَلَّا حُوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ بِعَزْفٍ ⑪ أَوْلَئِكَ أَصْحَابُ  
 الْجَنَّةِ خَلِيلُنَا فِيهَا يَرَأُونَا كَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ⑫

معان الكلمات والجمل :

- بيانات : واصحات ظاهرات .
- سحر وبين : سحر واضح يخدع سامعه وقارئه .
- افتراض : اختلفه من عند نفسه .
- تعيضون فيه : تندفعون فيه من القدح في آيات الله ،  
بوصفها بالسحر ، والشعر ، والافتراض .
- يدعا من الرسل : أول الرسل .
- تدبر وبين : متذر واضح الإنداز .
- شهيد شاهد من بني : هو عبد الله بن حبلا م .
- إسرائيل : هذا إفك قديم .
- هذا إفك قديم : هذا القرآن كذب قديم مأثور عن  
السابقين .
- إنما : يؤتُهم به ويقتدى كما يقتدى بالإمام .
- وبشرى للمحسنين : يبشرهم بالخير والنعيم ، ويطمئنهم .
- استقاموا : ثبتوا على إيمانهم ، والتزموا شرع الله .

**نلاعث المركب وعدم انصافه**

يكشف سباحة عن تلاعب الشركين، وعدم إنصافهم،  
ويبيح اصرارهم على التكذيب عناداً ويكبرأ، مع وضوح الحق  
وجلالته، فتارة يتهمون محمداً - صلى الله عليه وسلم -  
بالسحر، وتارة يرموه بالكذب والأخلاق، مع يقينهم انه  
صادق أهله، ولم يجرروا عليه كذباً فقط.

وهذا الجحود والإنكار عامٌ في كل من أرسل الله إليهم رسولاً، وليس خاصاً بكفار مكة وحدهم، يدل لذلك قوله تعالى : « وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْبَةِ مِنْ نَّبِيٍّ إِلَّا قَالَ مُتَّقِهَا إِنَّا عَنْهَا لَنَعْرُونَ » (١) .

وَقَالَ رَبُّهُ مُوسَىٰ أَنْتَ خَيْرٌ لِّمَا جَاءَكَ هُنَّ أَنْتَ بِهِ  
إِلَىٰ كُوْنَهُ حَقًا فِي قَرْأَةِ قَلْبِهِمْ، وَوَضُوحِهِ وَحَلَالَهُ فِي أَذْهَانِهِمْ،  
وَإِلَمَا رَدُوهُ عَنَادًا وَاسْتِكْبَارًا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ :

ويرشد الله نبيه إلى يردد على المكذبين بقوله: « قُلْ إِنَّمَا أَفْتَرِيهُمْ  
ذَلِكُمْ كُوْنُكُمْ مِّنَ الْأَنْفَاثِ » أي إنني أحمل عاقبة كذب  
وحدي ، ولن يقعني متابعتكم لي ، وتصديقكم لما افترسته  
عليكم على فرض الحصول .

(12-250)  $\neq$  (12-250)

卷之三

وفي هذا أبلغ رد على المكذبين؛ لأنَّه يستلزم نفي الافتراء المزعوم ، لأنَّ من غير المعقول أن يُعرض الرسول نفسه لغضبة الله ومقته حين يستبيح الكذب على الله في دعوه .  
اطمئنان قلوب الدعاة :

وقوله تعالى : « هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تَفْصِّلُونَ فِيهِ » (٣) في اطمئنان قلب الداعي إلى الله ، حين يوْقنُ بِأَنَّ اللَّهَ مُحيطٌ عَلَيْهِ بِكُلِّ مَا يَنْسِيُهُ إِلَيْهِ ، ويندفعون في قوله ونشره من أباطيل . ثم يؤكد الرسول هذا التسليم بقوله : « كُنْ بِهِ شَهِيداً بَيْنَكُمْ وَبِنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الْأَرْحَمُ » (٤) .

أي يغفر لكم ويرحمكم إنْ تُبْتُم عن افترائهم وأنتم وتفويض الامر لله ، وصدق التوكل عليه ، يلاً قلب الداعي الذي اتَّبَعَ بِتَكْذِيبِ قومه أهْمَانَا وَإِيمَانَا ، وسلاماً وإسلاماً ، وهذا كما قال تعالى : « إِنَّ تَوْلِيَّا فَقْلَ حَتَّىٰ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوْكِيدٌ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ » (٥) .

وفي الآياتين التاسعة والعشرة يرشد الله نبِيَّهُ إلى مُحاجة قومه متلطقاً ومنذراً، فيقول لهم : يا قوم ، لست أول نبِيٍّ أُرسَلَ إِلَيْهِ قومَه ، فقد سبقني رسول كثيرون ، قد علمتم من أخبارهم ما فيه زجر لكم ، وإنِّي وَإِنِّي النَّبِيُّ الْمَرْسَلُ لَا أَدْرِي مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِي ، ولا مَا يَفْعَلُ بِكُمْ ؛ لَأَنِّي عَبْدٌ مُلْقِمٌ تَبَلِّغُ مَا يُوحِيهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ،

لأندركم به . وبهذا يتجلّى أدب النبوة العظيم في الاستسلام  
الكامل لله ، وعدم اغتراره - حصل الله عليه وسلم - بقربيه من  
الله ، وخدم الأمان صادم في الحياة ؛ ولذا كان من دعائه . حصل الله  
عليه وسلم : « اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على  
دينك »<sup>(٢١)</sup> .

### شاهد بي إسرائيل :

وشاهد بي إسرائيل الذي جاء ذكره في الآية هو (عبد الله بن سلام) وقد كان من أحبار اليهود ، وعمل تقوتهم وإجلالهم ،  
لستة علمه ورجحان عقله . وكان يعلم مما يرى بيده من التوراة  
صفة رسول الله . حصل الله عليه وسلم ، فلما رأه وسألته أين أنت  
النبي المنتظر الذي جاء ذكره في التوراة والإنجيل ، فامن به ،  
وقامت به الحجة على بي إسرائيل ؛ لأن ما عنده من صفة  
الرسول . حصل الله عليه وسلم . عندهم كذلك ، ثم إنهم  
يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وهذا كما قال تعالى :

« الَّذِينَ هَا يَتَّبِعُونَ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَهُنَّ فِي يَقْرَأُونَ  
لَيَعْلَمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ »<sup>(٢٢)</sup> .

والدليل على أن المراد بشاهد بي إسرائيل هو « عبد الله بن سلام » ما أخرجه البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص -

<sup>(٢١)</sup> سورة القراء الآية ١٢٦

<sup>(٢٢)</sup> مختصر عليه

رضي الله عنه - قال : «ما سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول لأحد ينتهي على وجه الأرض : إنه من أهل الخطا  
إلا لعبد الله بن سلام ، وفيه نزلت :

«وَتَبَدَّلَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنْقَ إِمْرَأٍ بَلْ عَلَىٰ مِثْلِهِ»<sup>①</sup> . وأخرج الطبراني  
سنداً صحيح عن ابن عوف بن مالك الأشعري قال : انطلقت  
النبي - صلى الله عليه وسلم - و أنا ، حتى دخلنا كنيسة اليهود  
يوم عيدهم ، فكرهوا دخولنا عليهم ، فقال لهم رسول الله - صلى  
الله عليه وسلم - :

«يا معشر اليهود ، أروني أئم عشر رجالاً منكم ، يشهدون  
أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، يخط الله عن كل  
يهودي تحت أدمي السماء الغضب الذي عليه» فسكتوا ، فها  
أحبابه منهم أحد . ثم انصرف فإذا رجل من خلقه ، فقال : «كما  
أنت يا محمد» فاقبل فقال : «أبي رجل تعلموني منكم يا معشر  
اليهود؟» . قالوا :

«والله ما تعلم رجلاً كان أعلم بكتاب الله ، ولا أفقه منك ،  
ولا من أبيك قبلك ، ولا من جدك قبل أبيك» .

قال : «فإنيأشهد أنه النبي الذي تجدونه في التوراة» .

قالوا : «كذبت» ثم ردوا عليه ، وقالوا فيه شرعاً . فأنزل الله  
تعالى : «فَلَمْ أَرَهُمْ يَمْنَعُوكُمْ مِّنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَكُفْرُهُمْ بِهِ وَتَبَدَّلَ شَاهِدٌ مِّنْ

يَنْهَا إِنْرَأَوْلَى عَلَى مِثْلِهِ فَعَامَ وَأَتَكَبَرُمْ ⑩

وآخر ج الشیخان<sup>(۱)</sup> عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال: في (عبد الله بن سلام) نزلت: «أوشهد شاهد من بي إسرائيل على مثلك». وجاء في سبب تزول قوله تعالى: «وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا»<sup>(۲)</sup> «ما أخرجته ابن جرير الطبرى عن قتادة قال:

قال لاس من المشركين: «نحن أعز، ونحن، ونحن، غلو  
كان خيرا مما سقنا إليه فلان وفلان». فنزل قوله تعالى: «وقالَ  
الَّذِينَ كَفَرُوا...»<sup>(۳)</sup>

استدلال باطل :

واستدل بهذا كفار مكة على عدم صحة الرسالة، بزعمهم  
أنهم أحق بالإيمان بها، والسبق إليها، لو كان فيها خير ظاهر  
لعقوتهم الراجحة؛ لأنهم السادة الأشراف، وهم أحق بإدراك  
ما يصلاحهم ويصلح لهم. أما وقد سبق إلى الإيمان بالرسالة  
أمثال (بلال، وصهيب، وعمار) وكثير من المستضعفين - فهذا  
دليل على عدم صحتها بزعمهم؛ لذلك كفروا وغنووا عن أمر  
ربهم ظلماً وغلوا.

«وإذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ» أي القرآن «فَسِيَقُولُونَ هَذَا إِفْلَكٌ قَدِيمٌ»

<sup>(۱)</sup> الحذري وسلمه

أي كذب قديم مأثور عن السابقين، وهذا هو الكفر المقوت الذي بيته رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقوله: «الكفر بطر الحق، وعمّط الناس»<sup>(١)</sup> .

### التوراة :

«ومن قبله» أي قبل هذا القرآن نزل «كتاب موسى إماماً ورحة» والمراد بالإمام هنا «المتبوع» الذي مضى على منتهي بنو إسرائيل، ثم أنزل الله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم، وهو المراد بقوله سبحانه: «وهذا كتاب مصدق» أي لما قبله من الكتب السماوية «لساناً عربياً لينذر الذين ظلموا» وهم المكذبون «وبشرى للمحسنين» الذين آمنتوا، ولم يثبت إيمانهم شك أو شرك خفي .

### الإيمان والاستقامة :

لقد اشتملت الآياتان (١٣ - ١٤) من سورة الأحقاف على نظام الإسلام كله عقيدة وشريعة؛ لذلك أثرنا إفرادهما دون ما سبقها أو تلاها من الآيات .

اما وجہ اشتھارہما علی نظام الإسلام عقیدة وشريعة فنبیہ فیہما  
بیل مستعینین بالله تعالیٰ فنقول:

(١) وعمّط الحق رج ٢٠٢ ورد ٥٦٩

(٢) وعمّط الناس رج ٢٠٣ ورد ٥٦٨

(٣) ورسول

أولاً : قوله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا رَبَّنَا اللَّهَ ثُمَّ أَتَتْهُمْ الْمُسْتَقْدِمُونَ ① »  
 يدل على أن الاستقامة على سبب الله القويه لا بد أن يتقد منها  
 الإيمان بالله ربنا واحداً، والشرط من عبادة سواء، وهذا كما قال  
 تعالى : « فَنَّىٰ كُفَّارٌ بِالظَّنُورَتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدْ آتَتْهُمْ بِالْعُرُوهِ التَّوْلِيَّ  
 لَا يُفْصَمُ هُنَّا ② ». ۲۱

ثانياً : يلزم من سبق الإيمان للاستقامة عدم جدواها ذواته،  
 فمن عمل صالحه واستقام على الصريحة، دون أن يؤمن بالله  
 ربنا - فعمله باطل . وهذا كما قال تعالى :

« قُلْ هَلْ تُشْكِمُ بِالآخِرَةِ أَعْنَالًا ③ ۝ الَّذِينَ حَلَّ سَعِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ  
 الْهَدْنِيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ بِهِمْ حَسِنُوا ④ ۝ أَوْ لَئِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَرَبَّتْ  
 رِبِّهِمْ وَلِقَاءِهِ خَيْطَتْ أَعْمَلَهُمْ فَلَا يُنْقِمُهُمْ بِمِنْ يَوْمِ الْفِتْنَةِ وَرَبُّهُمْ ⑤ ۝ ۶ ». ۲۲

ثالثاً : الاستقامة تعني التزام المسلم بما أمره الله به،  
 واحتساب ما نهاه الله عنه . وهذا يعمّ الأقوال والأفعال والنيات .  
 فمن قال : أمنت بالله ، ثم استقام على صراطه المستقيم ، والترم  
 شرعه القويه ، فهو من أولياء الله الصالحين ، الذين لا يتألمون  
 أي مكرورة فيما يستقبلونه من أحوال الآخرة ومخاوفها ، ولا  
 يحزنهم الفزع الأكبر ، كما أنهم لا يعتزّهم أي حزن على ما  
 خلفوه وراءهم في الدنيا ، فهم لذلك فرحون مستبشرون

(۲۱) سورة التغافل الآية ۲۱.

(۲۲) سورة التغافل الآية ۲۲.

مقطّعٌ مُكْرَمُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « إِنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا رَبِّهِمْ فَإِنَّمَا  
أَنْتَنِي مَا نَشَاءُ عَلَيْهِمُ الْمُلْكَةُ الْأَنْجَافُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَلَا يَسْرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي  
كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ⑭ لَئِنْ أُولَئِكَ مَنْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُنْ  
فِيهَا مَا شَاءَتْ هُنَّ الْفَكَرُ وَلَكُنْ فِيهَا مَا نَادَعُونَ ⑮ تَرَلَامِنْ غَفُورُ رَحِيمٌ ⑯ »

رابعاً : أوضح دليل وأصرّه على تحمل الآية لما تقدم ،  
هذا الحديث الصحيح عن أبي عمرة بن عبد الله - رضي الله  
عنه - قال :

قلت : « يا رسول الله ، قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه  
أحدًا بعدك » .  
فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « قل آمنت بالله ،  
ثم استقم » ⑰ .

خامسًا : قوله تعالى : « أَوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ⑱ » يدل على أن  
من خلا قلبه من الإيمان ، ولم يستقم مع من استقاموا من عباد  
الرحمن ، فليس من الفائزين بالجنة ، دار الخلود والتعيم المقيم  
الذي لا يخلو ولا يزول والذى يُعطي جزاءه وفاقا على الأعمال  
الصالحة والاستقامة على منهاج الله تعالى ورسوله . والحمد لله  
على كل حال ، ونعود بالله من حال أهل النار .

\* \* \*

(١) سوره ص ٢ الآيات من (٣٩-٣٧)

(٢) صحيح مسلم

من الآية (١٥) إلى الآية (٢٠) من سورة الأحقاف

وَحِبَّ الْإِنْسَانَ يُوَلِّهِ يَعْلَمُ أَخْتَانًا حَلَّتْ أَمْهَرَ كُرَّهَا  
وَوَضَعَتْ كُرَّهَا وَحْلَمَ وَقَسْطَلَمْ ثَلَاثَوْنَ شَهْرًا حَقِيقَ إِذَا  
بَلَغَ أَشْدَمَ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكَرَ  
بَعْثَتْ أَلَّى أَعْصَمَ عَلَى وَعْلَى وَلِلَّهِ وَأَنْ أَعْمَلَ صَلَاحًا  
فَرَحِيَّهُ وَأَصْلَحَ لِي فِي دُرْبِيَّهُ إِذْنَ تَبَّتْ إِلَيْكَ وَإِذْنَ  
مِنْ الْمُتَّسِعِينَ ⑯ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ تَسْقَبِلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ  
مَا عَمِلُوا وَشَجَاؤُهُمْ عَنْ مَيْتَاتِهِمْ فَأَصْحَبَ أَلْحَانَهُ وَعَدَ  
الْمُصْدِقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ⑰ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَدِيهِ  
إِنْ لَكُمَا اتَّعْدَانِي أَنْ أَخْرُجَ وَقَدْ حَلَّتْ الْفَرْوَنُ مِنْ  
قَبْلِ وَهُنَّا يَسْتَعْبِدُنَّ اللَّهَ وَرِبَّكَ مَاءْنَ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقَّ  
فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِرُ الْأَوَّلِينَ ⑱ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ  
حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقُولُ فِي أَمْرٍ قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ  
أَلْحَنٍ وَالْإِنْسَانُ إِنَّهُمْ كَانُوا خَلِيلِينَ ⑲ وَلِكُلِّ دَرْجَتٍ

فَمَا عَمِلُواْ وَلَيَوْقِيمُ اعْتِدُهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ⑥  
 وَيَوْمَ يُعَرَّضُ الَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى النَّارِ أَذْهِمْ حَلِيلُكُرْ  
 فِي حَيَاةِكُرْ الدُّنْيَا وَامْتَعَنُتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوُنَ عَذَابَ  
 الْمُنُونِ إِنَّمَا كُنْتُمْ تَنْكِبُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ  
 وَإِنَّمَا كُنْتُمْ تَنْسِقُونَ ⑦

معانى الكلمات والجمل :  
 حملته أمه كرها : قاتلت في حملة الآلام والمشقة .  
 فصاله : فطامه .  
 بلغ أشدده : قوي وشديد .  
 أوزعني : أهمني .  
 تجاوز عن سيراثهم : نعموا عن ذرورهم .  
 أفك لكها : كلمة تفيد التضجر من الوالدين .  
 أتعذلاني أن أخرج : كيف تدافعي بالبعث بعد الموت .  
 وقد خلت الفرون : وقد مات السابقون ولم يبعثوا !  
 من قبل : قبل .  
 وهو ما يستغيثان الله : يطلبان العون من الله أن يهديه .  
 وبذلك : هلكت إن لم تؤمن .

أسطر الأولين : أكاديب الأقدمين .  
 حق عليهم القول : هو قوله تعالى لإيليس : « الأملان جهنم  
 منك ومن تبعك منهم جميعين ».  
 ولكل درجات مما : لكل فريق من المؤمنين والجاهدين  
 درجات في الجنة أو النار بحسب  
 عملوا  
 أعمالهم .  
 ويوم يعرضون الدين : يذببون بها .  
 كفروا على النار  
 عذابه  
 عذاب الحزن والتتحقق .

الوصية بالوالدين :  
 لما بين سبحانه وتعالى في أول السورة تفرد بخلق السموات  
 والأرض وما بينها ، واستحقاقه للعبادة وحده تبعاً لذلك ، شرع  
 في بيان من يليه في وجوب الطاعة لها ، وأداء حقوقها ، وهو  
 الوالدان اللذان كان هما بإذن الله فضل وجود الآباء  
 وتنتهي . فلما عجب أن يؤكد القرآن الكريم الوصية  
 بالوالدين والإحسان إليهما كما قال تعالى :

« وَقُضِيَ رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَيْاهُ وَبِالوَالِدَيْنِ إِخْنَانٍ »<sup>(١)</sup> . ولقد  
 ورد في سبب نزول الآية الكريمة أن أم (سعد بن أبي وقاص)

<sup>(١)</sup> سورة الإسراء / الآية ٢٣

قالت لسعد: «أليس قد أمر الله بطاعة الوالدين؟ فلَا أكمل  
طعاما، ولا أشرب شرابا، حتى تكفر بالله تعالى»، وامتنعت عن  
ال الطعام والشراب، حتى كانوا يفتحون فاها بالعصا، فنزلت  
هذه الآية «ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا». فالله تعالى يوجه  
الإنسان إلى ما فيه خيره وسعادته، فبما هر ببر والديه، ويوصيه  
بالإحسان إليها؛ لما لها من فضل بعد الله عليه. وقد حرص الله  
تعالى الأم بعزيز من وجوب رعايتها، والإحسان إليها، مذكرا  
 بما عانته بسبب العمل والوضع والرضاع. وفي ذكر هذا دون  
ذكر ما يعاني الوالد من مشقات الحياة لتوفير الرزق الحلال  
لأولاده - دليل على تحميد حق الأم، وإبراز مدى عنائهما  
الشديد، وتضحياتها الجسيمة في سهل تربية هذا الإنسان  
الناشئ في أحشائها، والمتغذى بدمائها، الذي سيطرول سهرها  
وعيها في تربيته والمحافظة عليه، ففي حلها مشقة وجهد، وفي  
وضعيتها مشقة وجهد. على أن مدة العمل والإرضاع ليست يوما  
أو يومين، وإنما المكابدة والتعب مدة ثلاثة شهرا حتى يفطم  
عن الرضاع. من أجل ذلك كله عَظُم حُنّ الأم، واحتضنها  
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعزيز من وصيته. وبدل  
لذلك ما رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى  
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال:

«من أَحْقَنَ النَّاسَ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟»؟ قال: «أهْلُك»، قال:

«ثُمَّ مَنْ؟» قَالَ: «أَمْكَ». قَالَ: «ثُمَّ مَنْ؟» قَالَ: «أَمْكَ». أَمْكَ؟ قَالَ: «ثُمَّ مَنْ؟» قَالَ: «أَبُوكَ».

وَهَذِهِ الْأَيْةُ لَمْ تَنْزَلْ فِي رَجُلٍ يَعْيَنُهُ، وَإِنَّمَا فِيهَا تَعْلِيمٌ لَنَا، وَتَنْبِيهٌ إِلَى ضَرُورَةِ الْمُسَارِعَةِ إِلَى التَّوْبَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَتَجْدِيدِهَا فِي سِنِ الْأَرْبَعينِ الَّتِي هِي بِدَأِيَةِ الدُّخُولِ إِلَى مَرْحَلَةِ الشِّيَخُوخَةِ، مَعَ كِمالِ النَّضْجِ الْعُقْلِيِّ، وَضَعْفِ الْبَاعِثِ الْحِيَوَانِيِّ، وَهَذَا يُسَاعِدُ الْمُؤْمِنَ عَلَى التَّغْلِبِ عَلَى رَغْبَاتِهِ الْذَّنَبِيَّةِ، وَالتَّشَوُفِ إِلَى دُرُجَاتِهِ الْعُلَيَّةِ، يَا ذَنَبُ اللَّهِ.

فَالْوَلَدُ الْبَرُّ بِوَالِدِيهِ يَرْزَادُ مَعَ الْأَيَّامِ خَيْرًا وَإِقْبَالًا عَلَى اللَّهِ، وَمَعَ اكْتِمَالِ عُقْلِهِ وَقُوَّتِهِ وَبَلَوْغِ أَشْدَهِ يَسَّأَلُ رَبِّهِ أَنْ يَلْهُمْهُ الشَّكْرَ عَلَى تَلْكُلِ النَّعْمَ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْهِ، وَمِنَ الْهُدَايَا وَالتَّوْفِيقِ لِلْعِبَادَةِ وَبِرِّ الْوَالِدِينِ، وَعَلَى النَّعْمَةِ الَّتِي امْتَنَ اللَّهُ عَلَيْهَا عَلَى وَالِدِيهِ مِنَ الْخَنَانِ وَالْعَطْفِ وَالْإِخْلَاصِ فِي تَرْبِيَتِهِ، كَمَا يَدْعُو اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُرْزِقَهُ التَّوْفِيقَ إِلَى صَالِحِ الْعَمَلِ الَّذِي يَرْضِيهِ وَأَنْ يَعْتَحِهِ ذُرْيَةً صَالِحةً، فِرَةً لِعَيْنِهِ، وَرَاحَةً لِتَفْسِيرِهِ.

### صلاح الذريّة من أكبر النعم:

وَقُولُهُ فِي الدُّعَاءِ: «وَأَصْلَحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي» يَدْلِيلٌ عَلَى أَهْمَى صَلَاحِ الذَّرِّيَّةِ، وَأَثْرُ هَذَا الصَّلَاحِ فِي انْفَسِهِمْ وَأَهْلِهِمْ، ثُمَّ فِي أَمْتَهِمْ بِالْتَّبَعِ، لِذَلِكَ كَانَ مِنْ دُعَاءِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَتَصَنَّعُونَ بِصِفَاتِ الْكَرَّالِ: «أَرَبَّتَنِي مِنْ أَرْوَحِنَا وَذُرِّيَّتِنِي فِرَةً أُخْرِيٍّ وَأَجْعَلْتَنِي

ويidel لما قلت من أثر الولد في والديه، ونفعه لها أحياء وأمواتا قوله صلى الله عليه وسلم: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: إلا من حسنة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعوه»<sup>(٣)</sup>.

ولاشك أن المتضرع إلى الله بالدعاء يرجو به خيري الدنيا والآخرة لنفسه ولوالديه ولذريته - سيكون شديد الحرص على تطهير نفسه بالتوبية من جميع ذنبه، والإذابة إلى الله، وتحديث عهده مع ربه، مؤكدا ثباته على الحق، وعلى دين الإسلام، قائلا: «إني نبأ إليك وإنني من المسلمين».

### قبول الحسنات والتجاوز عن السيئات

أما قوله تعالى: «أولئك الذين تتقبل عنهم أحسن ما عملوا وتنجذب عن سيئاتهم»<sup>(٤)</sup> فهذا من أعظم البشائر للMuslimين الموحدين الصادقين الذين يرون آباءهم، ويحسون عشرتهم، ويدعون لهم، لأن فيها الرجاء بسعة رحمة الله، وعظيم فضله؛ لتقبله صالح الأعمال، ونجذبها برحمته عن السيئات التي أكثر منهم بالتوبية عنها، وعن الصغائر التي لا يكاد يخلو منها بشر. وهذا كان من دعاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين

(١) دارواه سلم (١٠٠١) عشر صحيح مسلم.

(٢) سورة العنكبوت الآية ٧٦

السجدتين ! « رب الغرلي ، رب اعفرلي »<sup>(١)</sup>  
 إن هؤلاء البررة الكرام سبكونون في الجنة مع أصحابها  
 الذين أكرمهم الله بمجازاتهم بأفضل الجزاء على أعمدهم ،  
 والصفح عن زلاتهم ، وما كان الله تعالى ليخلف وعده الحق  
 الذي وعدهم به على السنة رسالته الكرام ، صلوات الله وسلامه  
 عليهم أجمعين .

ما أنسى أهل الكفر والعقوبة :

« وَالَّذِي قَالَ لِوَالدِّيَ أَفْ لَكُمَا<sup>(٢)</sup> .. » إلى قوله تعالى : « إِنَّهُمْ  
 كَانُوا خَاسِرِينَ<sup>(٣)</sup> »

هاتان الآياتان تشملان كل من شأنه الكفر بالله ، وعقوبة  
 الوالدين .

قال الحافظ بن كثير : « والذى قال لوالديه أف لكما » هذا  
 عام في كل من قال هذا ، ومن زعم أنها نزلت في عبد الرحمن  
 ابن أبي بكر - رضي الله عنهما - فقوله ضعيف ، لأن (عبد  
 الرحمن) قد أسلم بعد ذلك ، وحسن إسلامه ، وكان من يحار  
 أهل زمانه<sup>(٤)</sup> .

وفي الآية الكريمة تصوير بدبيع الحال أبسوين صالحين ابتليا  
 بولد جاحظ عاق ، فهما حزينة أسفان عليه ، وحر يصان عل

(١) أخرجه أصحاب السن

(٢) اعفر نصره ابن تيمية ٢ ص ٦٢

إيمانه؛ لإنقاذه من عذاب الله؛ لذلك اجتهد في الترقق به،  
ودعوته إلى الإيمان بالله، واستعاذا عليه بتحريضه من عذاب الله  
فائلين:

يا بني آمن بالله الذي خلقك ورزقك، وبهذه موتك  
وحياتك، قيل أن ينزل بك عذابه حين يبعثك بعد موتك.  
ولكن الولد العاق لم يستحب لتضرعات والديه، وقابل  
نصحهما بضجر وممل، وقال لهما: أَفْ لَكُمَا، كِيفَ تَعْدَانِي أَنْ  
أُبْعَثَ مَرَةً أُخْرَى، وَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ هَانُوا مِنْ قَبْلَنَا حَسَرُوا تَرَابًا،  
وَلَمْ يُبْعَثْ مِنْهُمْ أَحَدٌ؟ وَمَا هَذَا الَّذِي تَدْعُونِي إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ إِلَّا  
أَكَاذِيبُ خَلْقَةٍ، وَلَيْسَ لَهَا سُندٌ أَوْ دَلِيلٌ.

فهذا الولد العاق وأمثاله من الجاحدين المجرمين من الإنس  
والجن السابقين واللاحقين - قد حفت عليهم كلمة العذاب  
الابدي؛ لاستحقاقهم ذلك بکفرهم وجحودهم، وصدتهم عن  
سبيل الله، ولا يظلم ربكم أحدا.

فأَللَّهُ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى يَنْزِلُ عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَازِلَهُمُ الْلَّائِقَةِ  
بِكُلِّ مِنْهُمْ بحسب أَعْمَالِهِمْ، فَيُدْخَلُ الْمُؤْمِنِينَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ  
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ؛ بِقَدْرِ اجْتِهادِهِمْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ. وَيُدْخَلُ الْكَافِرِينَ  
نَارَ جَهَنَّمَ كُلَّاً بحسب درجة كفره وظلمه، جَزَاءً وَفَاقَا، وَنَعْوذُ  
بِاللهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ وَغَضِبِهِ.

## العدل الإلهي :

إن الله لا يظلم مثقال ذرة ، بل يجازي كلا بما عمل من صالح أو سوء جراء عادلا فانتظروا أيها المؤمنون يوم يعرض الدين كفروا على النار، ويقال لهم على سبيل السخرية والاستهزاء: لقد استمتعتم في حياتكم الدنيا استمتاع البهائم ، فاستوفيتם بذلك جراء ما عملتم من الصالحات التي لم تبتغوا بها وجه الله ، وليس لكم اليوم من جراء إلا عذاب الإهانة والتحقير ، لأنكم كتم تستكبرون في الأرض ، وتردون الحق بحمق وسفاهة ، وترتكبون المعاصي والآثام .

\* \* \*

## من الآية (٢١) إلى الآية (٢٨) من سورة الأحقاف

وَادْكُرْ أَهْنَاءَ دَيْنَ الدَّرْ  
 قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ حَلَّتْ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ وَمِنْ  
 خَلْفِهِ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ يَعْلَمُ أَحَافُ عَذَابَ  
 يَوْمِ عَظِيمٍ (٢١) فَأَلُوَ الْجَنَّاتِ الْمَأْمَنِ كَعَزْ ؛ الْمَنَانِ فَإِنَّا  
 إِنَّا نَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٢) قَالَ إِنَّمَا أَعْلَمُ  
 بِهِ اللَّهُ وَإِلَيْهِ يَعْلَمُ مَا أَرْسَلْتَ بِهِ وَلَكَنِي أَرَكَنْتُ قَوْمًا  
 بِغَهْلِهِنَّ (٢٣) لَهُنَّا رَاوِهِ عَارِضُهَا مُسْتَقْبِلُ اُورَدِتِهِمْ قَالُوا  
 هَذَا عَارِضٌ مُغِطَّرٌ بَلْ هُوَ مَا أَمْتَعَجَلْتُمْ بِهِ رَبِيعُ فِيهَا  
 عَذَابُ الْيَمِّ (٢٤) نَذَرْتُمْ كُلَّ فَتْحٍ ؛ يَا مِنْ رِبِّهِمْ فَاصْبِحُوا  
 لَا يُرَى إِلَّا مَنْ كُنْتُمْ كَذِلِكَ تَعْزِي الْقَوْمُ الْمُجْرِمِينَ (٢٥)  
 وَلَقَدْ مَكَثْتُمْ فِيمَا إِنْ شَكَنْتُكُمْ فِيهِ وَجَعَلْتُهُمْ سَاهِنِا  
 وَأَنْصَرْتُمْ وَأَفْيَدْتُهُمْ فَمَا أَنْتُ عَنْهُمْ سَعِيْهِمْ وَلَا أَبْصَرْهُمْ وَلَا  
 أَفْيَدْهُمْ مِنْ شَيْءٍ ؛ إِذْ كَانُوا يُجْهَدُونَ بِرَبَّيْتَ اللَّهُ وَحْدَهُ

يَوْمَ مَا كَانُوا يَهْرُبُونَ ⑯ وَلَقَدْ أَهْلَكَنَا مَا حَوَلَنَا  
مِنَ الْقَرْيٍ وَهَرَقَنَا الْأَبَيَتِ لَعْنَهُمْ بِرْ جَعْوَنَ ⑰  
فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ أَخْدَوْا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَرِبَابًا نَاهِةً  
بَلْ خَلَوْا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِنْ كُنْتُمْ وَمَا كَانُوا يَغْرُبُونَ ⑱

معاني الكلمات والجمل

أَخَا عَادَ : هو هود عليه السلام  
بِالْأَحْقَافِ : مكان باليمن سمي بالأحقاف؛ لأنه  
مكون من جبال رملية، والحقف هو  
الجبل من الرمل  
خَلَتِ النَّذَرِ مِنْ : مضت الرسل المنذرون لأقوامهم من قبله  
بَيْنَ يَدِيهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَمِنْ بَعْدِهِ .  
لَتَأْفِكُنَا : لتصرفنا وتصدنا عن آهتنا.  
رَاوِهِ عَارِضاً : رأوا سحابا عرض في أفق السماء مقبلا  
مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ عليهم ، متوجهها إلى أوديائهم.  
مَكَنَاهُمْ فِيهَا إِنْ : أعطيناهم من أسباب القوة. والتمكن في  
مَكَنَاتِكُمْ فِيهِ الارض ما لم تعطكم.

وَحَاقَ بِهِمْ مَا  
كَانُوا يَكْذِبُونَ  
كَانُوا هُنَّا يَسْتَهْزِئُونَ  
بِهِ، وَيَسْخَرُونَ مِنْ تَهْدِيدِنِيمِ.  
وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ  
تَوْعِيْنَا الْحَجَجَ وَالْبَرَاهِينَ وَالْعَقَادَاتِ بِأَسَالِيبٍ مُخْتَلِفَةٍ.  
فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ : هَلَا مَنْعَتْ عَنْهُمُ الْعَذَابَ حِينَ نَزَولِهِ  
أَتَخْدِلُوْنَاهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَهْتَمُهُمُ الَّتِي عَبَدُوهَا ؟ لِتَقْرِبُهُمْ إِلَى اللَّهِ  
قُرْبَانًا أَلْهَمَ  
بِزَعْمِهِمْ ؟ .

بِلْ خَذَلُوهُمْ ، وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُمُ الْعَذَابَ .  
وَذَلِكَ إِنْكِهِمْ : وَهَذَا الْمَصِيرُ السَّعِيْ  
لِلْمَكْذِبِيْنَ هُوَ نَتْيَاجٌ  
لِإِنْكِهِمْ وَافْتَرَاهُمْ عَلَى اللَّهِ .

هُودٌ يَدْعُو قَوْمَهُ إِلَى التَّوْحِيدِ فِي كَذِبَوْنَهُ :  
فِي الْآيَاتِ ذَكْرٌ لِقَصْةِ (هُودٌ) عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ قَوْمِهِ ، الَّذِينَ  
كَانُوا يَسْكُنُونَ فِي الْيَمَنِ ، فِي مَنْطَقَةِ مَلِيَّةِ بِالْكَثْبَانِ الرَّمْلِيَّةِ ، يَقَالُ  
لَهُمْ : «الشَّحْرُ» ، وَمَا كَانَ مِنْ دُعْوَتِهِ لَهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ ،  
وَتَرْكِ عِبَادَةِ الْأَهْنَامِ ، حَذَرُوا إِيَّاهُمْ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ ، شَائِئُهُ  
فِي هَذَا شَاءَ الرَّسُولُ الدِّيْنَ سَيْقَوْهُ ، وَمَنْ جَاءَهُوا بَعْدَهُ ، ثُمَّ مَا كَانَ  
مِنْ مَارِعِتِهِمْ إِلَى تَكْذِيْبِهِ ، كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي جَمِيعِ الْكُفَّارِ  
السَّابِقِينَ وَالْلَّاحِقِينَ :

۝ كَذَلِكَ مَا أَئَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنَّبٌ ۝ ۱۱۰ ۝

وهو الموقف نفسه الذي قوبل به رسول الله في مكة، فلما كذب  
قريش رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شق ذلك عليه،  
لشدة إشفاعه عليهم، وحرصه على إيمانهم، حتى نزل قوله  
تعالى : « فَلَا تَذَهَّبْ تَقْرُبْ عَلَيْهِمْ حَرَبٌ »<sup>(١)</sup>. وذكر قصة  
هود مع زوجته والإيذاء والاقتراء حال جميع الأمم السابقة مع  
رسليها.

### استعجال عاد للعذاب

ثم تخدأه قومه أن يأتينهم بالعذاب الذي أنذرهم به إن كان  
من الصادقين ، فأخبرهم - عليه السلام - أن الأمر لله وإنما هو  
مأمور بالبلاغ المبين الواضح ، حتى لا يكون للناس على الله  
حججه بعد الرسل ، وليس من حقه تحديد موعد العذاب ، ولا  
تعجل بجيشه .

وقول قوم هود : « أجيتنَا لتأفينا عن الْهَنَاءِ » يدل على وحدة  
الرد الجاحد الذي صدر من المكذبين في كل العصور ، ويدل  
على سفسه عقوتهم حين يقلدون آباءهم ، ويتابعونهم على  
أخطائهم ، ويصمون أذانهم عن سماع الحق الذي جاءهم به  
نبيهم من عند ربهم . ولم يكتفوا بمجرد التكذيب والإيذاء ، بل  
تعجلوا العذاب الذي أنذرهم به ، سخرية واستهزاء بذلك  
الوعيد .

(١) سورة هاتم / الآية ٩

ثم رأى قوم (هود) سحاباً مقبلاً نحو أوديتيهم التي أصبت بالخفاف؛ لعدم نزول المطر، ففرحوا، وقالوا: هذا هو السحاب المليء بالماء وسيمطرنا، ويرفع عنا البلاء... فأجاههم نبيهم (هود) عليه السلام: ليس ما ترون سحاباً ممطراً، وإنما هو العذاب العظيم الذي استعجلتم نزوله بكم، ظانين أن كاذب فيما بلغتكم من رسالة رب.

#### عاقبة المكذبين

وكان هلاك عاد قوم (هود) بالرياح العاصفة المدمرة، فأصبحوا هالكين لا يرى إلا مساكنهم الخالية من الحياة، وهذا جزاء الظالمين المكذبين.

وقد استمر عصف الرياح سبع ليال وثمانية أيام، حتى هلكوا جميعاً «فَاصْبَرُوا لَا يُرِنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ كَذِلِكَ تَخْزِيَ الْقَوْمُ الْمُنْجَرِينَ ﴿٤٥﴾».

#### نذير وتحذير :

يخاطب الله سبحانه كفار مكة متذراً إياهم عذاب هلاك المكذبين السابقيين، ومبينا لهم سبحانه أنه قد آتى من قبلهم من القوة والبسطة في المال والأجسام ما لم يعطوه مثله، ومع هذا فلم يستطعوا الدفع عن أنفسهم، ولا تفعتهم أسبابهم ولا أصواتهم ولا عقولهم؛ لأنهم جحدوا ظلماً وعلواً، وسدوا منافذ

فلوهم عن وصول نور الحق إليها، فاستحبوا العمى على  
الهدى، حتى وقع بهم العذاب الذي كانوا به يستهزئون.  
ولقد أهلكنا كذلك ما حولكم من القرى والأفراط المكذبين،  
كثيرون قوم ( صالح ) وقوم تبعه، وأصحاب الأياض، وأهل  
مدنين، جراء وفاقاً لتكذيبهم وعندتهم لأنبيائهم، وافتراضهم على  
الله، وقد أقمنا عليهم الحجوة قبل الإهلاك، ووعظناهم  
بمخالف العادات، ولكنهم صموا آذانهم، وصرفوا قلوبهم،  
فاحذروا أن يصيكم ما أصاحت بهم.

الآية المزعومة تحدى أصحابها :

ثم يربخ الله المكذبين مبيناً عجز أهاليهم عن نصرتهم حين  
نزل بهم العذاب، فain ما كانوا يدعون من أوهيتهم، وكونهم  
وسيطاء بينهم وبين ربهم، تقر لهم إليه زلفي؟ «بل ضلوا عنهم»  
بل تاهوا عنهم، وسلكوا طريقاً غير طريقهم، لأنهم أرباب  
مزيفون، وذلك هو إفكهم وكذبهم وافتراضهم على الله بالخادهم  
له شركاء، تعالى الله عن ذلك علو اكيراً. وهذا ما يؤكده قوله  
تعالى :

وَأَنْهَدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَعْلَمُوا فَنْصَرُوهُنَّ ⑥ لَا يَسْتَطِعُونَ  
نصرهم وهم لهم جندة محضرؤن ⑦ ⑧

\* \* \*

٥ من الآية (٢٩) إلى الآية (٣٢) من سورة الأحقاف

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكُمْ نَفْرًا مِّنْ أَجْنَانِ بَشَرٍ مِّنْ أَنْفُسِهِمْ  
فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَعْصَمُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْلَا إِنَّ قَوْمَهُمْ  
شَدِيرُونَ ⑯ قَالُوا يَنْقُومُنَا إِنَّا مَعْنَى كِتَابًا أُنزَلْنَا مِنْ  
بَعْدِ مُوْمِنِي مُحَمَّدًا فَالْمَاهِنَ يَدْعُهُ إِلَيْ أَجْنَانِ وَإِلَى  
مَلَكِيَّنِ مُسْتَقِيمٍ ⑰ يَنْقُومُنَا أَجْبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَهَمْ نُؤْمِنُوا  
يَدْعُ يَغْفِرُ لَكُمْ مِّنْ ذَنْبِكُمْ وَيُخْرِجُكُمْ مِّنْ عَذَابِ الْيَمِنِ ⑱  
وَمِنْ لَا يُجْنِبُ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَمَّا تَمَعَّزَ فِي الْأَرْضِ وَلَمَّا  
لَمَّا مِنْ دُونِهِ أَوْلَاهُ اُولَئِكَ قِيَّمُتُهُنَّ ⑲

معاني الكلمات والجمل :

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكُمْ : وَادْكُرْ يَا حَمْدَ حِينَ سَقَنَا إِلَيْكُمْ جَمَاعَة  
نَفْرًا مِّنْ أَجْنَانِ بَشَرٍ مِّنْ أَجْنَانِ دُونِ العَشْرَةِ .  
فَلَمَّا قُضِيَ : فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ - مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ .

ولوا إلى قومهم : انصرفوا إلى قومهم منذرین محدرين  
منذرین إياهم من مخالفة القرآن الكريم ، وعدم  
الإیمان بمحمد.

لما بين يديه : لما سبقه من الكتب السماوية .  
يهدي إلى الحق : يرشد إلى الله وإلى دين الحق .  
ونجركم من عذاب : ينجيكم من عذاب أليم .  
أليم

فليس بمعجز في الأرض : فلن يفلت من عذاب الله هربا .  
أولئك في ضلال مبين : نصراء يدفعون عنه عذاب الله .  
في ضلال مبين : في ضياع وخسران واضح .

### سبب تزول الآية (٢٩) :

آخر ابن أبي شيبة عن ابن مسعود قال: «إن الجن هبطوا على النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يقرأ القرآن بيطن نخلة<sup>(١)</sup>، فلما سمعوه قالوا: «أنصتوا» و كانوا تسعة، أحدهم اسمه (زوبيعة) فأنزل الله تعالى «وإذ صرنا إليك نفرًا من الجن» إلى قوله: «ضلال مبين».

(١) لسم ملكن بوب مكة

الجان مكثفون كبني آدم :

الجان مكثفون مثل بني آدم، وقد جاء في الآيات المتقدمة ذكر سماعهم لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يتلو كتاب الله تعالى ، فأنصتوا إلهي خاشعين ، ودخل الإيمان بإذن الله في قلوبهم ، وسارعوا إلى قومهم يبلغونهم ما سمعوه من الآيات والذكر الحكيم ، ودعوهם إلى الإيمان ، وإجابة الداعي ، إذا أرادوا النجاة من نحر الدنيا ، وعذاب الآخرة .

ووجه ارتباط الآيات بما قبلها :

ذكر سبحانه خبر سماع الجن للقرآن الكريم وأهانهم به فور سماعهم دون تردد ، ليلفت أنظار المشركين المكذبين إلى حسن إصغاء الجن ، وسرعة إجابتهم ، لعلهم يشرون إلى رشدهم ، ويؤمنون بربهم .

أدب الجن وسرعة إجابتهم :

في الآيات المتقدمة دلالة واضحة على مسائل مهمة ، يبيغي للمؤمن أن يتأملها ، ليزداد بإذن الله يقينا .

وأول تلك المسائل وأهمها ما في قوله تعالى : «إِذْ صرنا إِلَيْكُنَّ نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ» ففي ذلك دلالة صريحة على وقوع حادثة استئماع الجن بتقدير الله ، وإرادته المطلقة ، وتسخيره أولئك النفر

للترجمة إلى حيث جلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتلو آياته المحكمة.

وثاني تلك المسائل، أصواتهم لما سمعوه من كلام ربهم، حتى فرع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من التلاوة، ولم يعجلوا بالانصراف، حرصا على تمام المساجع، وكمال الفائدة.

وثالث تلك المسائل، مساعتهم إلى تبليغ قومهم رسالة ربهم، معلين إيمانهم بما سمعوه، شاهدين له بالصدق والهدایة إلى الحق في الاعتقاد والإخبار، وإلى العصراط المستفيض في الأعمال.

ورابع تلك المسائل حثّهم قومهم على إجابة الداعي إلى الله، حتى يغفر الله لهم وينجيهم بإيمانهم من خزي الدنيا، وعذاب النار.

ثم ختموا نذيرهم بالوعيد الشديد لمن أعرض عن ذكر الله، وانصرف عن الإيمان برسالة رسوله، الذي جاء مصدقاً لما سبقه من الرسالات السماوية، فقالوا: «ومن لا يحب داعي الله فليس بمحترٍ في الأرض» بل هو عبد ضعيف، لا حول له ولا قوة، «أوليس له من دونه أولياء» ينصرونه ويدفعون عنه العذاب. ومن كان لهذا شأنه فهو ضال عن سبيل الحق والهدى ضلالاً وأفحى جلباً.

\* \* \*

من الآية رقم (٣٣) إلى الآية رقم (٣٥) من آخر سورة  
الاحقاف

أَوْلَمْ يَرَوُا إِنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ  
يَعْنِ بِخَلْقِهِنَّ يَقْدِرْ عَلَىٰ أَنْ يَعْيَى الْمَرْقَبَ بِلَمْ يَنْهَا عَلَىٰ  
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٣) وَيَوْمَ يَعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَىٰ  
النَّظَرِ الْبَيِّنِ هَذَا يَالْحَقِّ قَالُوا إِنَّا مِنْ وَرِبَّنَا قَالَ فَدُونُوْفُوا  
الْعَذَابَ إِنَّا كُنَّا نَكْفُرُونَ (٣٤) فَأَكَاهِرُ كَمَا صَبَرَ أُولَئِكَ  
الْعَزَمُ مِنَ الرَّسُولِ وَلَا تَسْتَعِيلُهُمْ كَانُوكُمْ يَوْمَ يَرُونَ  
مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَنْطِلُوا إِلَّا مَنْعَةً مِنْ تَهَايِّءٍ بَلْغَ فَهَلْ يَهْلِكُ  
إِلَّا الْقَوْمُ الظَّفِيقُونَ (٣٥)

معاني الكلمات والجمل:

أَوْلَمْ يَرَوَا : أو لم يعلم هؤلاء المعرضون عن الإيمان،  
وَالْمُنْكِرُونَ لِلْبَعْثِ .

وَلَمْ يَعْنِ بِخَلْقِهِنَّ : لم يضعف ولم يعجز عن خلقهن .  
بِلِّي : حرف جواب يثبت قدرة الله تعالى على  
الْبَعْثِ وَالنَّشُورِ .

يعرضون الدين : يحرقون بها .  
 كفروا على النار  
 بل وربنا : أقروا بأن العذاب حق مقسمين بعزة  
 الله .  
 أولو العزم من : أصحاب القوة والثبات والصر من  
 الرسل الكرام .  
 ولا تستعجل لهم : لا تتعجل وقوع العذاب بهم .  
 لم يلبثوا إلا ساعة : لم يكثروا في الدنيا إلا ساعة واحدة من  
 من نهار .  
 بلاغ : هذا القرآن بلاغ للناس ، وإدار يكفي  
 للعظة .

قدرة الله على البعث :

في الآية ( ٣٣ ) دلالة قدرة الله تعالى على إعادة الخلق .  
 ووجه الدلالة تسليم الكفار بأن الله تعالى هو الذي خلق  
 السموات والأرض . أقلا يدل هذا على يُسر الإعادة ، وكونها  
 أقرب إلى الإمكان من الإنشاء من عدم ؟ وهذا كقوله تعالى :

ۚ وَهُوَ الَّذِي يَبْدِئُ الْخَلْقَ ثُمَّ يَعْنِيهُ ۖ وَهُوَ أَهُولُ عَلَيْهِ ۝<sup>(١)</sup>

## حرة المجرمين يوم الدين :

بین سیحانه انکشاف الحق يوم القيمة، حين لا تنفع الدين  
کفروا معدرنهم، ویساهمن سیحانه سؤال توییخ : «الیس هذا  
بالحق؟»؟ فیجیبون أذلاء خاشعین : «بل ورینا». ولكن هیمات  
فإن إيمانهم يومئذ مردود؛ لأنهم في موقف الاختصار، وقد كانوا  
في الدنيا في سعة، وقد أمهلهم الله إمھالاً کيراً.

## النصر مع الصبر :

ختم سیحانه السورة بتذکیر رسوله - صلی الله علیه وسلم -  
بما لاقی الرسل من قبله من اولی العزم، فقد صبروا وتحملوا  
المشاق في سبيل تبلیغ رسالتة ربهم فاصبر يا محمد على أذى  
قومك صبرهم، فأنتم تعلم ما حدث لاخوانك العظام (نوح  
وایسرافیم وموسى وعیسی) فیا لهم اولو عزم وصبر وجلد، فلا  
تکن أقل منهم عزيمة وصبرا. ومن صبرك عليهم الا تستعجل  
لهم العذاب، وتندعوا عليهم بالهلاک، ودع ذلك لربك؛ فیا لهم  
لن يفلتوا من عذابه، ولا بد من وقوعه بهم، وحين يتزل على  
المشرکین غضب الله، وتحل بهم عقوبته، ويدوقون شدة  
العذاب وأبدیته - بمحسنون انهم قد أضاعوا أعيارهم، وما  
استمتعوا في الدنيا كان هباء، وكأنهم لم يلبثوا فيها إلا ساعة من  
نهار. وهذا كما قال تعالى :

١١٦ دعوه إلى الله من كل زمان وقديمه وآياته وآياته العبرة  
وَيَوْمَ تَفْعُمُ الْأَسْعَةُ يَقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَتَرَى عَبْرَ سَاعَةٍ ١١٦ . وذلك  
من شدة العذاب الذي لا نهاية له، فتصغر أيام الدنيا وتعيمها  
في إحساسهم ومشاعرهم . ونحن ما ظلمناهم ولكن ظلموا  
أنفسهم ، فقد جعلنا لهم في القرآن الكريم البلاغ والمعضة .  
 فمن أتعظ به واتفع فقد نجا وسعد ، ومن أغرض فقد آثر  
الهلاك ، وما يهلك الله إلا القوم القاسقين في الدنيا والآخرة .

ومع ذلك فاين قد اندرت ، وأسمعتهم كلام الله ، ولاشك  
أن هذا القرآن الكريم بلاغ للناس ، يكفي للمعضة ، فإن اتعظوا  
فيها ونعمت ، وإلا فقد جرت سنة الله في خلقه بأنه لا ينزل  
الهلاك والدمار إلا بالخارجين عن طاعته .

\* \* \*

## سورة محمد

محمد :

- أ - سورة محمد من سور المدحية، وقد نزلت بعد فرض  
الجهاد في سبيل الله .
- ب - فيها إعلان الحرب على الكفار الذين صدوا عن سبيل  
الله : لذلك كان من أسماء السورة «سورة القتال» .
- ج - وقد بين سبحانه أن نصر الله للمؤمنين موقوف على  
نصرهم له ، بإقامة شرعيه ، وإعلاء كلمته .
- د - حذر الله المؤمنين من المنافقين المذمومين بين صفوفهم ، وبين  
خطفهم .
- ه - ثم ختم سبحانه السورة بالدعوة إلى الإنفاق والجهاد ، مثلاً  
بدأت بالدعوة إليه كذلك ، لتأكيد أهميته ، وأشره في إعلاء  
كلمة الله .

١ من الآية (١) إلى الآية (٣)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَصْلَلُ أَعْنَاثَهُمْ  
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا أُنزَلَ عَلَيْهِ  
مُحَمَّدٌ وَهُوَ أَخْقَرُ مِنْ زَرِيرٍ كَفَرُ عَنْهُمْ سِنَّاتِهِمْ وَاصْلَحَ  
بَالْهُمْ ① ذَلِكَ مَا أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا آتَيْنَاهُمُ الْبَاطِلَ وَأَنَّ  
الَّذِينَ آمَنُوا آتَيْنَاهُمْ مِنْ رِزْقِنَا كَذَلِكَ يَنْقِربُ اللَّهُ  
لِلتَّائِسِ أَمْثَانَهُمْ ②

معاني الكلمات والجمل:

كفر عنهم سباتهم : خا وازال عنهم ذئونهم .

اصلح بالهم : أصلح حالهم في دينهم ودنياهם .

ذلك : الإضلal والهدى .

الباطل : الشيطان الداعي إلى كل شر ومنكر .

الحق : القرآن أو الرسول الداعي إلى كل  
معروف وخير .

كذلك يضرب الله : مثل ذلك البيان الواضح يبين الله للناس  
للتاس أمثالهم مآل كل من الفريقين وأحوالهم .

رضوان الله على المؤمنين ، وسخطه على الكافرين :

بدأ سبحانه السورة بإعلان الحرب على أعدائه وأعداء  
أوليائه ، حين صدوا عن سبيله ، وحالوا بين الناس والدخول في  
دينه ، ووقفوا بالمرصاد لمن آمن يفتونه بالتعذيب ؛ ليرجع عن  
دينه ، فاستحقو بذلك غضب الله ، وإبطال كيدهم ، وضياع  
أعمالهم التي كانوا يعدونها من مكارم الأخلاق : كإطعام  
ال الطعام ، وصلة الأرحام ، وإكرام الضيوف .

اما المؤمنون بمحمد - صلى الله عليه وسلم - وبالقرآن  
الكريم ، وهو الحق الذي أنزله الله هداية أهل الأرض . فقد  
أكرمهم الله ، وتفضل عليهم فصحا عنهم سباتهم ، ودبر  
معايشهم ، واصلح أحوالهم في دينهم ودنياهם .

الأسباب واضحة :

وسر ذلك كما بين الله تعالى هو اتباع الكفار للباطل ، وهو  
الشيطان الذي يدعوهم إلى الكفر والشرور والأثام ، ومحاربة

الحق الذي جاءهم به محمد - صلى الله عليه وسلم - من عند  
ربهم :

أما المؤمنون فقد اتبعوا الحق من ربهم حيث أتوا بالرسول  
والقرآن ، وسلكوا طريق الهدى ، وغسّلوا بحبل الله المطين ،  
ودينه القوي .

« كذلك يضرب الله للناس أمثلهم »  
بذلك البيان الواضح بين الله أمر المؤمنين والكافرين ، ليعتبر  
الناس ، ويتعظوا بما كل من الفريقين في الدنيا والآخرة .

\* \* \*

من الآية رقم (٤) إلى الآية رقم (١١) من سورة محمد

فَإِذَا لَقِيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَنَصْرُبْ  
 الْرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا مَخْتَمُوهُمْ فَشَدُوا الْوَثَاقَ فَإِمَامًا  
 بَعْدَ وَإِمَامًا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعُ الْحَرْبُ أَوْ زَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ  
 يَكُونَ اللَّهُ لَا تَنْصُرُهُمْ وَلَكِنْ لَيَأْتُوا بِعِنْدِكُمْ بِمَا عَنْهُ  
 وَالَّذِينَ قُتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضْلَلَ أَعْمَالُهُمْ ④  
 سَبِيلُهُمْ وَبِصَلِحَاتِهِمْ ⑤ وَيَدْخُلُهُمْ أَجْنَاحَهُ عَرْفَهَا  
 لَمْ ⑥ يَتَابَهَا الَّذِينَ هَامَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهُ يَنْصُرُكُمْ  
 وَيُنْتَهِ أَفَدَائَكُمْ ⑦ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَنَعْسَاهُمْ وَأَنْصَلَ  
 أَعْنَالَهُمْ ⑧ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَزَلَ اللَّهُ فِي أَحْطَافِ  
 أَعْنَالَهُمْ ⑨ أَفَلَمْ يَرِوْا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا  
 كَيْفَ كَانَ عَنْقِيَّةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ  
 وَلِكُفَّارِنَ امْتَلَأَهَا ⑩ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ  
 هَامَنُوا وَأَنَّ الْكُفَّارِنَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ⑪

## معاني الكلمات والجمل :

- فضرب الرقاب : اخربوا الرقاب ضرباً أي : اقتلواهم  
واحصدوا أنفاسهم .
- أثخنتموهם : أكثرتم فيهم القتل ، وانتصرتم عليهم .  
خذلوا الوثاق : خذلواهم أسرى ، وأحكموا قيدهم .
- فإما متأتياً بعد وإنما فداء : المن الإطلاق بلا مقابل ، والفاء إطلاق السراح مقابل فدية من مال أو غيره .
- تضيع الحرب : تنقضي بوضع الآلة وأنقاذها .  
أوزارها
- لانتصر منهم : لأهلكتهم بقدرتهم ، وانتقم منهم بعقوبة من عنده دون قتال .
- ليبلو بعضكم : ليختبر إيمانكم وثباتكم ، ويتخذ منكم شهداء ، ويتحقق الكافرین ويعلمون بأيديكم .
- سيهدى لهم : إلى الجنة .
- عروفها لهم : دفهم على طريقها بحيث يعلم كل منهم متراله ، ويهتدى إليه .
- ويثبت أقدامكم : يثبتكم في مواطن الحرب .
- فتعالا لهم : فهلاكا لهم وخسروا .
- فأحبط أعمالهم : أذهبناها وأضاعناها .

دُمِرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ : أَهْلَكُهُمْ مَعَ كُلِّ مَا يَعْتَزُونَ بِهِ مِنْ مَالٍ  
وَأُولَادٍ .

الله مولى الذين : ناصرهم ومعينهم .  
آمنوا

يرسم الله طريق الحرب لعيادة المؤمنين :

بعد إعلان الحرب على الكفار أمر الله المؤمنين بقتالهم  
وقتلهم وعدم التردد أو الإشغاف عليهم .

﴿فَإِذَا لَقِيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَصُرِّبُوا إِلَيْنَاهُمْ حَتَّىٰ إِذَا أَخْتَمْتُمُوهُمْ فَشَدُّوْا  
الْوَتَاقَ ﴾ ①

والمعنى : إذا أدركتم الكفار فاقتلوهم ، واحصدوهم حصداً  
بالسيوف ، وعبر بضرب الرقب ، لأن الغالب في صفة القتل ،  
حتى إذا هزمتموهم وأكثروتم فيهم القتل والجرحيات ، فخذلوا  
من تبقى منهم أسرى ، وأحكموا وثاقهم ، وشدّدوا الحراسة  
عليهم خشية الهرب . ثم إن شئتم أطلقتموهم مقابل فداء من  
مال أو عمل ، وإن وجد الإمام المصلحة في القتل أو الاسترقاء  
فعل .

حكمة الله في الأمر بالقتال :

ثم بين سبحانه أنه قادر وحده على إهلاك الذين كفروا ،  
وصدوا عن سبيله ، دون حاجة إلى قتال ، ولكن حكمته أراد

أَن يَتَحَقَّقَ عِبَادَهُ وَيَبْلُو بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ، فَابْتَلَاؤهُ لِلْمُؤْمِنِينَ ؛  
لِيَعْلَمَ الصَّادِقِينَ مِنْهُمْ فِي إِيمَانِهِمْ ، وَيَتَخَذَّلُهُمْ شَهِداءً . وَهَذَا  
كَمَا قَالَ تَعَالَى : « وَلَسَلَوْكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجْنَدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ  
وَبَلُوا أَخْبَارَكُمْ » (١) .

ثُمَّ بَيْنَ مَسْحَانِهِ أَنَّهُ سَيُنْزَلُ الشَّهِداءَ فِي أَحْسَنِ مَرْأَةٍ ،  
وَيُخْرِجُهُمْ عَنْ أَعْمَالِهِمْ أَحْسَنَ الْحَرَاءِ ، وَيُدْخِلُهُمْ مَنَازِلَهُمْ فِي  
الْجَنَّاتِ ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهَا ، وَكَأُنُومَ يَعْرُفُونَهَا مِنْ قَبْلِ . وَهَذَا كَمَا جَاءَ  
فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيفَ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -  
قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَالَّذِي نَقَيْتُ  
إِنْ أَحَدُهُمْ عَنْ زَلَّةٍ فِي الْجَنَّةِ أَهْدَى مِنْهُ عَنْ زَلَّةٍ الَّذِي كَانَ فِيهِ فِي  
الْدُّنْيَا » (٢) .

### سبب نصر المؤمنين وخذلان الكافرين :

ثُمَّ بَيْنَ مَسْحَانِهِ أَنَّ النَّصْرَ مُوقَوفٌ عَلَى صَدْقَ التَّجَرُّدِ لِلَّهِ ،  
وَإِحْلَاصِ النِّيَّةِ لِهِ ، وَالتَّقْيِيدِ بِشَرْعِهِ ، وَالْجَهَادِ فِي سَبِيلِ نَصْرَةِ  
دِيَّهُ ، وَالثَّباتِ فِي الْمَعرَكةِ لِإِعْلَامِ كَلْمَتِهِ .

فَإِذَا تَحَقَّقَ هَذَا أَنْزَلَ اللَّهُ نَصْرَهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَرَثَتْ أَقْدَامَهُمْ  
عَلَى الْحَقِّ ، حَتَّى بَعْدَ النَّصْرِ ، فَلَا يَفْتَرُونَ وَلَا يَتَهَاوُونَ . أَمَّا  
الْكَافِرُونَ فَقَدْ بَاءُوا بِدُعَاءِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بِالْتَّعَاصِيَةِ ، وَخَيْرَ الْأَمْلِ ،

وَذِلُّ الْهُرَيْثَةِ، كَمَا أَنَّهُ تَكْفُلُ بِسُبْحَانِهِ بِأَنْ يَصْلُّ أَعْيُاهُمْ، فَمَا كَانَ  
مِنْهَا سَبَّاً مَّا لَقُواْ جَزَاءهُ، وَمَا كَانَ حَسْنًا لَا يَفْعَلُهُمْ شَيْءٌ.

وَبِذَلِكَ تَتَحَقَّقُ لَهُمُ التَّعَاسَةُ فِي الدُّنْيَا بِالْفَتْلِ وَالْهُرَيْثَةِ، وَفِي  
الْآخِرَةِ بِاسْتِحْقَاقِهِمُ النَّارَ وَالْعِيَادَ بِاللهِ.

وَهَذَا الَّذِي عَاقَبَ اللَّهُ بِهِ الْكَافِرِينَ إِنَّمَا هُوَ جَزَاءُ كُرَاهِيَّتِهِمْ لِمَا  
أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْهُدَى وَالْحَقِّ بِسَبِّبِ فَسَادِ قُلُوبِهِمْ، وَاتِّبَاعِهِمْ  
بِصَائِرِهِمْ، وَشَدَّةِ عَدَادِهِمْ، وَرُجُبِتِهِمْ لِلْبَاطِلِ وَالشَّرِّ. فَلَا  
عَحْبَ أَنْ أَحْبَطَ بِسُبْحَانِهِ أَعْيُاهُمْ، وَأَضْلَلَ سَعِيهِمْ.

أَلَا يَعْدُونَ فِي مُصَارِعِهِمْ مِّنْ قَبْلِهِمْ عِرْبَةً؟

ثُمَّ ذَكَرَ بِسُبْحَانِهِ أَنَّ نَصْرَةَ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَبَيْتَهُ لِأَقْدَامِهِمْ،  
وَهُزِيمَتِهِ لِلْمُشْرِكِينَ وَقُتْلُهُمْ وَخَرْبُهُمْ - إِنَّمَا هُوَ سَنَةٌ مَاضِيةٌ فِي جَمِيعِ  
الْأَمْمِ السَّابِقَةِ، فَسَيِّرُوا فِي الْأَرْضِ وَتَأْمِلُوا فِي مُصَارِعِ الْغَابِرِينَ  
مِنَ الطُّغَاءِ كَعَادُ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لَوْطٍ، فَقَدْ دَمَرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ كُلَّ مَا  
يَجْتَمِعُونَ بِهِ، فَإِذَا هُوَ رَكَامٌ فَوْقَ جَتِنَّهُ الْمَرْقَةُ، فَلَا يَعْتَبِرُ كُفَّارُ  
مَكَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُلُوهُمْ مَا حَلَّ بِهِمْ بِسْقِيَّهُمْ، وَلَا يَعْلَمُوا أَنَّ انتِقامَ  
اللهِ مِنَ الظَّالِمِينَ، وَنَصْرَتِهِ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَضْعِفِينَ سَنَةً مَاضِيةً إِلَى  
يَوْمِ الدِّينِ.

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَنَاصِرُهُمْ وَالْمَدْافِعُ عَنْهُمْ،  
وَكَفَى بِاللهِ نَصِيرًا فَمَنْ كَانَ اللَّهُ وَلِيًّا فَعَلَامٌ بِمَا يَحْزُنُ؟ وَمَمْ يَحْزُنُ؟

وهو يعلم أن الخير يتغطره دائمًا في الدنيا والآخرة، حتى في حالات الابتلاء حاشا الله أن يكون قد تخلى عن عباده ونصراته، وإنما أراد لهم رفع الدرجات، وقضى بذلك؛ ليزدادوا إيماناً وثقة بربهم، ولبيكون في قصص شهدائهم زاد لهم عمل ممزوج بالتاريخ . أما الكافرون فلا مولى لهم، ولا ناصر يدفع عنهم، وإن تظاهرت جموع قوى الأرض على مناصرتهم، فهم بعدهم عن الله أضعف خلق الله، فالويل كل الويل لمن يتخل عن الله، أو يتتصدى لحرمه .

\* \* \*

من الآية رقم ١٢ إلى الآية رقم ١٥ من سورة محمد

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ

الَّذِينَ آتَوْا وَتَحْمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَاحَتْ تَغْيِيرِي مِنْ نَحْنِهَا  
الْأَنْهَرُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِتَعْتِيقِنَّ وَبِاَكْلُونَ كُلَّا كُلُّ  
الْأَنْعَمْ وَالثَّارِ مُشْوِي هُمْ ⑯ وَكَانَ مِنْ قَرْبَةِ هِيَ  
أَشَدُّ قَوْمًا مِنْ قَرْبَتِكَ الَّتِي أَنْجَحْتَكَ أَهْلَكْتَهُمْ فَلَا  
لَا يَصْرُطُمْ ⑰ إِنَّمَا كَانَ عَلَى بَعْضِهِ مِنْ رِيَاهِهِ كُنْ دُرِّينَ  
لَهُمْ سُوَّا تَحْمِيلَهُ وَأَتَبْعَاهُ أَهْوَاهُمْ ⑱ مُثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي  
وَرَعَدَ الْمُتَقْوَونَ لِهَا أَنْهَرُ مِنْ مَاءٍ تَغْيِيرَهُ عَاصِمَ وَأَنْهَرُ مِنْ  
لَهُنِّ لَمْ يَتَغْيِرْ حَلْعَمَهُ وَأَنْهَرُ مِنْ تَغْيِيرِ الْكَرْكَرَةِ النَّسَرَيِّينَ وَأَنْهَرُ  
مِنْ عَيْلِ مَصْقَ وَلَحْمَ لِهَا مِنْ كُلِّ الشَّرَابِتِ وَمَغْفِرَةً مِنْ  
لَزِيمَ كُنْ هُوَ خَلِيدٌ فِي الْأَرْضِ وَسَقُوا مَاءَ حِبْسًا قَعْطَمَ  
أَهْوَاهُمْ ⑲

معاني الكلمات والجمل :

يُسْمَعُونَ : لا هُمْ هُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِلَّا التَّمْتَعُ  
بِالْمَلَذَاتِ وَالشَّهْوَاتِ كَالْحَيْوَانَاتِ

وَالنَّارُ مَثْوَى لَهُمْ : مَقَامُهُمْ وَمَنْزِلُهُمْ .

وَكَأَيْنَ مِنْ قَرْيَةٍ : وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ .

قَرِيبُكَ الَّتِي أَخْرَجْتَ أَهْلَهَا .

أَخْرَجْتَكَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ زَيْدٍ .

كَمْنَ زَيْنَ لَهُ : مَثَلُ الذِّي يَرَى قَبِيحَ عَمَلِهِ حَسَنًا .

سُوءُ عَمَلِهِ

وَاتَّبَعُوا أَهْرَاءَهُمْ : اتَّهَمُوكُمْ فِي الْفَحْلَالِ ، وَانْقَادُوكُمْ لِلشَّيْطَانِ  
وَاهْرُوا .

غَيْرُ آسَنْ : غَيْرُ مُتَغَيِّرٍ الْطَّعْمُ أَوِ الْلَّوْنُ أَوِ الرِّيحُ .

مَاءُ حَيَا : مَاءٌ حَارًّا شَدِيدُ الْغَلِيانِ .

مَا لَكُلُّ مِنْ فَرِيقٍ فِي الْآخِرَةِ :

يَعْدُ أَنْ يَبْيَأَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ نَصْرَتُهُ  
لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا ، وَخَذْلَانُهُ لِلْكَافِرِينَ وَنَقْمَتُهُ عَلَيْهِمْ . ذَكْرُ  
مَصْبِرِ كُلِّ مِنْهَا فِي الْآخِرَةِ .

فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الصَّادِقُونَ الَّذِينَ يُدْفِعُهُمْ إِيمَانُهُمْ إِلَى الْإِسْتِقْدَامَةِ  
وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي تُصْلَحُ بِهِ أُمُورُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا - فَإِنَّ اللَّهَ

تعالى يكرههم، وينعم عليهم برضوانه، ويدخلهم جنات  
تحري من تحتها الانهار، يتمتعون فيها بأعظم الوان النعيم.  
وأما الكافرون الذين كانوا يتمتعون في الدنيا، ولا هم لهم  
إلا البحث عن شهوات النفس ولذائتها، وأكلون غافلين  
كالمبهائم، لا فرق عندهم بين حلال وحرام، ولا طيب  
وحيث؛ لأنهم فقدوا الضمير، وقوة الإرادة التي تُميز الإنسان  
عن الحيوان، فأضاعوا بذلك النعيم المقيم في الآخرة، وعاقبهم  
الله على كفرهم وغفلتهم بأن جعل جهنم مقامهم ومنزلكم يوم  
القيمة.

### سلية للرسول وعهدي لأهل مكة :

لا تحزن يا محمد، فكم من قربة عاتية ظالمة كانت أشد  
وأقوى من مكة، وكان أهلها أكثر فورة وتجبراً من كفار مكة  
الذين أخر جوك من بلدك ضلوا وعدوا - عاقبتهם بأهلاك  
والاستهصال، ولم يجدوا لهم ناصراً يدفع عنهم وينجيهما، فهذا  
بتوقع كفار مكة أن يجعل الله بهم جزاء تحدّتهم لدعوتهم،  
وآخر اجههم رسوله من بلده، بعد أن تأمرروا على قتله ليلة  
الحجرة، وإيادائهم كل من دخل في دين الله؟ ماذا يتظرون إلا  
الهلاك في الدنيا والآخرة؟ روى عن ابن عباس - رضي الله  
عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما خرج من مكة إلى  
الغار التفت إليها، وقال: «أنت أحب بلاد الله إلى». ولو لا أن

الشركين أخرجوني لم أخرج منك»<sup>(١)</sup>

ثم يعرض الحق تبارك وتعالى موازنة بين الفريقيين منهجاً  
ومسلكاً وعاقبة، فكما لا يُستوي الخير والشر، والحسن  
والقبيح، فكذلك لا يُستوي من كان على بصيرة من ربه،  
و ثبات ويقين في دينه، ووضوح في حججه وبراهينه، ومن زُيَّن  
له الشيطان عمله القبيح، فرأه حسناً، واتبع هواه، فلم يعد  
يُميز بين الحق والباطل، ولا تقوم تصرفاته على دليل أو برهان.

#### الجزاء من جنس العمل :

ثم بين تعالى صفة الجنة التي وعدها عباده المؤمنين، وذكر  
من وصفها أن فيها آثاراً حاربة من ماء عذب، ولا يعتريه تغيير  
في طعمه أو لونه أو رائحته، وأنهاراً من حليب في غاية البياض  
والحلابة، لم يقصد كها تفسد ألبان الدنيا، وأنهاراً من خمر طيبة  
الطعم والرائحة، يتلذذ أهل الجنة بشربها، ولا تسكرهم كما  
تسكر خمر الدنيا، وأنهاراً من عسل مُضفي، لم يخالطه  
الشمع، ولا فضلات النحل.

كما أن هناك أنواعاً متعددة من جميع الفواكه والثمار. ولأهل  
الجنة فوق ذلك النعيم المحسوس نعيم روحي عظيم، وهو

(١) أخرجه ابن أبي حاتم من حديث ابن عاصي رضي الله عنهما

رحوان الله عليهم ، ومحقرته لهم . فما أسعدهم أهل الجنة وما  
أتعسهم !!

إذا كان هذا هو حال أهل الجنة من المؤمنين ، فانظر إلى حال  
أهل النار الذين لا يخرجون منها ، وشرابهم الماء الذي يغلي  
غليانا شديدا ، فيقطع أمعاءهم ، ويشوّي من حرارته  
وجوههم ، فلما يقضى أهل النار بالآمن ، وأولى بالسعادة  
الابدية !! إلا ما أشقي أهل النار وما أتعسهم !!

\* \* \*

من الآية رقم (١٦) إلى الآية رقم (١٩) من سورة محمد

وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمْعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا  
مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ رَبُّنَا أَوْ لِيَكَ  
الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَأَنْبَعُوا أَهْوَاهُمْ ⑯  
وَالَّذِينَ اهْتَدُوا زَادُوهُمْ هُدًىٰ وَمَا تَهْمَمُهُمْ ⑰  
فَهَلْ يَنْظَرُونَ إِلَّا السَّاعَةُ أَنْ تَأْتِيهِمْ بِغَنِيمَةٍ فَقَدْ جَاءَ  
أَنْرَاضُهَا فَإِنْ هُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ دُرْكُهُمْ ⑱ فَاعْلَمُ الْأَنْهَىٰ  
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَإِنْتَعْزِزُ بِذِيَّكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ  
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَكْلِفُونَ ⑲

معاني الكلمات والجمل :

وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمْعُ : من المنافقين من يستمع إليك يا محمد  
إِلَيْكَ .

قَالُوا لِلَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ : قالوا: لعلماء الصحابة الذين يحرصون  
الْعِلْمَ على فهم حديثك والانتفاع به .

مَاذَا قَالَ مُحَمَّدٌ السَّاعَةُ؟ : ماذا قال محمد الساعفة؟

طبع الله على قلوبهم بالكفر، فكيف  
يستفهون بما يسمعونه أو يعقلونه ؟  
والذين اهتدوا زادهم هدى  
و توفيقا .

آتاهم تقواهم أهتم رشدهم .  
فهل ينظرون إلا أن تقوم الساعة .

أن تأتيهم بعثة فجأة مباغتة لهم ، وهم في غفلتهم  
ساهون .

جاء أشر اطها جاءت علامات الساعة .  
فإن لهم إذا جاءتهم : فمن أين لهم الذكرى والعذلة حين  
ذكر أهتم ؟  
andalله يعلم متقلبكم : يعلم سبحانه تصرفكم في الدنيا ،  
ومصيركم في الآخرة .

صنفان من الناس يرتادون مجالس النبي :  
بعد أن يتبين سبحانه حال المؤمنين في الجنة ، وحال الكافرين  
في النار ، وذكر أن المنافقين لا يسألون لما يلقى إليهم من أمر  
الحياة - بل إذا خرجوا من مجلس رسول الله - صلى الله عليه  
وسلم - قالوا ساحرین ، يسألون أهل العلم والفقه من  
الصحابة الأجلاء :

ماذا قال محمد الآن في حلستاتك؟ فهم لا يعقلون ، ولا يكتربون عما يبلغهم به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهؤلاء المنافقون قد حتم الله على قلوبهم بالكفر ، لاستحقاقهم ذلك بسوء نياتهم ، واتباعهم لأهوائهم الباطلة ، وانصرافهم عن هدى الله ورسوله ، فاصبحوا كالضم الْكُم الذين لا يعقلون .

اما المؤمنون الذين اهتدوا بنور الله فقد تفضل الله عليهم ، وزادهم هدى على هداهم ، وأطعمهم رشدهم . فهم في حلقة الرسول - صلى الله عليه وسلم - لا شرد منهم كلمة مما يسمعون منه ، ولا يفترطون في استيعاب ما يوجههم إليه وفقهم والعمل به .

ماذا يتضرر هؤلاء المنافقون ؟  
فهل يتضرر هؤلاء المنافقون والكافار إلا الساعة ؟ لا يخسرون أن ناتيهم فجأة على غير انتظار ؟

ألا يرون أن علاماتها قد جاءت ، ومنها بعثة محمد - صلى الله عليه وسلم - ؟ ألا يعلمون أنها إذا جاءت لا ينفعهم عند ذلك تذكرة ولا ندم ، ولا تقبل منهم توبة ؟ لأن وقت الاتعاظ والتوبة قد مضى وفات .

## ثبات الرسول على الحق والتوحيد :

فإذا كان هذا حال المنافقين والكفار فاعلم يا محمد أنك مطالب بالثبات على التوحيد، وعلى الكلمة التي زللت أقدام الكفار، وحطمت عرش الأصنام الزائف. فاثبت على ما أنت عليه من العلم بوحدانية الله، واطلب المغفرة لك وللمؤمنين والمؤمنات. فالله وحده يعلم ما أنت عليه في الدنيا من سلوك وتصرفات، وما تتقلبون فيه من صنوف المعيش، كما يعلم ما تشيرون إليه في الآخرة من شقاء أو سعادة، وجنة أو نار.

فاستعدوا لهذا اليوم الرهيب، وترزودوا فإن خير الرزاء التقوى .



من الآية رقم (٢٠) إلى الآية رقم (٢٨) من سورة محمد

وَيَخْرُجُ الظِّرْنُ فَأَمْنُوا  
لَوْلَا أَرَكَتْ سُورَةً فَهَذَا أَرَكَتْ سُورَةً مُحْكَمَةً وَدَسَّرَ فِيهَا  
الْفَسَادَ رَأَيْتَ الظِّرْنَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْهُ مُنْظَرُونَ إِلَيْكَ  
نَظَرُ الْمُغْبَثِينَ عَلَيْهِ مِنَ الْمُوْتَ قَاتِلُنَّهُمْ ⑤ هَلْعَانَةٌ  
وَقَوْلُ مَعْرُوفٍ فَهَذَا عَزْمُ الْأَمْرِ فَلَوْصَدَ فَوْأَدَ اللَّهُ كُلَّ  
خَيْرٍ لَهُمْ ⑥ فَهَلْ عَسِيْتُمْ إِنْ تُولِّتُمُ الْأَنْفَسُ دُوا  
فِي الْأَرْضِ وَتَقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ ⑦ أَوْ لَكُمُ الظِّرْنَ لَعْنُهُمْ  
أَللَّهُ فِي أَحْمَمِهِمْ وَأَمْنِ اتْصَارِهِمْ ⑧ إِنَّمَا يَنْدِرُونَ الْقُرْآنَ  
أَمْ عَلَى قُلُوبِ الْمُهَاجِرِ ⑨ إِنَّ الظِّرْنَ أَرْتَدُوا عَلَى أَدْبَرِهِمْ  
مِنْ بَعْدِ مَا تَسْجَنُ لَهُمْ أَهْدَى النَّيْطَنُ سُولُ لَهُمْ وَأَمْلَى  
لَهُمْ ⑩ ذَلِكَ يَا شَهِيمَ قَالُوا اللَّهُمَّ كَرِهُوا مَا تَرَزَّلَ اللَّهُ  
سَنُطْبِعُكَ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَأَللَّهُ يَعْلَمُ إِمْرَارَهُمْ ⑪  
فَكَيْفَ إِذَا تُوْقَنُهُمُ الْمُلْكِيَّةُ يَنْتَرِبُونَ وَجْهُهُمْ

رَأَدْنَاهُمْ ⑥ دَلِكَ يَا نَبِيَّمْ أَتَبُوْعُمْ مَا أَخْطَلَ اللَّهَ وَكَرِهُمْ

رَضْوَانَهُ فَإِحْسَنُ أَعْمَالِهِمْ ⑦

### معاني الكلمات والجمل :

- لولا نزلت سورة : هلا أنزلت سورة فيها الأمر بالجهاد .  
سورة محكمة : صريحه واضحة الدلالة لا تقبل التأويل .  
ذكر فيها القتال : كتبه الله وفرضه .  
في قلوبهم مرض : شك ونفاق .  
نظر المغشى عليه : نظر من أصابته غشية الموت وسكته .  
من الموت  
فأولى لهم : فوبيل لهم فقد قاربوا أن يجعل لهم اهلاك .  
طاعة وقول معروف : طاعة مخلصة للرسول وقول معروف  
طيب - خير لهم وأحسن .  
فإذا عزم الأمر : جد الجد وحضر القتال .  
فلو صدقوا الله : أخلصوا النية لله ، وصدقوا في أعيانهم  
وجهادهم .  
توليتهم : أعرضتم عن الإسلام ، وتركتم الجهاد .  
لعنهم الله : طردتهم ، وأبعدتهم من رحمته .  
فاصهموا وأعمى : سلبهم الانتفاع بأسماعهم وابصارهم .  
ابصارهم

أَفَلَا يَتَدْبِرُونَ : أَفَلَا يَتَفَهَّمُونَ الْقُرْآنَ ، وَيَتَفَكَّرُونَ فِيمَا  
 يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ؟  
 أَمْ عَلَى قُلُوبِهِمْ قَاسِيَةٌ مَقْفَلَةٌ لَا يَنْفَذُ إِلَيْهَا  
 نُورٌ .  
 أَقْفَاهَا  
 ارْتَدُوا عَلَى أَدِبَارِهِمْ : رَجَعُوا إِلَى الْكُفْرِ بَعْدِ الْإِيمَانِ .  
 سُوْلُهُمْ  
 : زَيْنُهُمْ سَيْنَاتِهِمْ وَحَسْنَاهُمْ .  
 وَأَمْلُهُمْ  
 : خَدَّعُهُمْ بِالْأَمَالِ الْكَاذِبَةِ .  
 إِسْرَارُهُمْ  
 : مَا يُسِرُّهُمْ بِهِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ، وَمَا يَخْفَوْهُ فِي  
 أَنْفُسِهِمْ مِنْ حَقْدٍ عَلَى الْإِسْلَامِ .  
 فَكَيْفَ إِذَا تُوْفِتُهُمْ : كَيْفَ حَاطَمُوا عَنِ الْمَوْتِ حِينَ يَأْتِي الْمَلَائِكَةُ  
 الْمَلَائِكَةُ  
 لِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ .  
 مَا أَسْخَطَ اللَّهُ  
 : مَا أَغْصَبَهُ عَلَيْهِمْ .  
 فَأَبْحِطُ أَعْمَالَهُمْ  
 : أَبْطَلُهُمْ مَا عَمِلُوهُ .

### موقف المنافقين من الجihad :

كَانَ الْمُؤْمِنُونَ الصَّادِقُونَ يَتَعَنَّطُونَ أَنْ يَأْمُرُهُمْ اللَّهُ بِالْجِهَادِ ،  
 لِيَحْقِّقُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ مِنْ شُوقٍ إِلَى لِقَاءِ أَعْدَاءِ اللَّهِ ، وَحُرِّصُوا عَلَى  
 الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ ، فَقَالُوا :

لَعْلَ اللَّهُ أَنْ يَنْزِلَ سُورَةً فِيهَا فِرْضُ الْجِهَادِ ، لِتُؤَذِّبَ الْمُشْرِكِينَ  
 الَّذِينَ آذَوْنَا ، وَهَذَّلُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى سُورَةً

محكمة صريحة لا تقبل التأويل، واضحة الدلالة على وجوب  
الجهاد في سبيل الله - خاف المافقون أصحاب القلوب  
المريضة، والنفوس الضعيفة، أولئك الذين يظهرون الإسلام،  
ويجعلون الكفر أو الشك، وبدأ الخوف والرعب وأصحاباً جلباً  
في وجوههم وأيচارهم، وراحوا يتظرون إلى رسول الله - صلى  
الله عليه وسلم - نظراً ذاهلاً شاحضاً ناطقاً بالحرف والفرع  
والاستغراب كنظر المغشى عليه من الموت، وكأنهم يساقون إلى  
الموت سوقاً. فالويل لهم والهلاك. لقد كان من الحير لهم أن  
يطبعوا الله تعالى ورسوله طاعة مخلصة، تكشف عن الاستجابة  
لأمرهم، والرخصاء بحكمتها، وأن يقولوا قولًا جيلاً طيباً، يتم  
على سلامة القلب، وظهوره النفس، وكان الأولى بهم إذا عزم  
الأمر، وجد الحد، ونادي المنادي: «حي على الجهاد» أن  
يصدّقوا الله تعالى في أعمالهم وجهادهم وعزائمهم، ويثبتوا  
بطولة الإسلام وعزته، ويُقبلوا على الجهاد متمنين من الله  
إحدى الحسنين.

### حزاء الإعراض عن الإسلام والجهاد

ثم بين سبحانه أن الإعراض عن الإسلام، والتولي عن  
القتال في سبيل الله، والإقبال على متاع الدنيا وزخرفها - يؤدي  
إلى الإفساد في الأرض، وقطعية الأرحام. وهذا يعني أن  
الصلاح في الدنيا، والفوز في الآخرة، موقوفان على التمسك

يدين الله ، والجهاد في سبيل الله ، إعلاء لكتبه ، وإقامة لشرعيه الحكيم سبحانه ، ثم يأتي التعبير القرآني الكريم موحياً بالتهديد والتخييف من سوء العاقبة ، لو ظلوا على تلك الحال . فما يتظر الذين أعرضوا عن الإسلام ونكلو عن الجهاد ، وأشروا إلى المهد إلا أن يلعنهم الله ويطردهم من رحمة ، ويحرمهم الانتفاع بأسمائهم وأبصارهم . كما قال تعالى في شأن الكفار : « لَمْ يَنْتَهُوا لَا يَقْعُدُوا هُمْ أَنْجَنَّ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أَوْ لَبِكَ كَمَا لَا تَعْتَمِمُ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أَوْ لَبِكَ هُمُ الْمُغْنَمُونَ » (١) .

أفلا يتدبرون القرآن ؟

أفلا يتدبر هؤلاء المعرضون القرآن ويتفهمونه لتشريح صدورهم ، و تستضي ، نفوسهم ، و يدركوا أنه منزل من عند الله حقاً ؟ بل هم في غفلة من ذلك ؛ لأن قلوبهم قاسية ، وكأنها مقفلة بأقفال الحديد ، فلا يدخلها نور الإيمان والهدى .

وهؤلاء الذين ارتدوا على أدبارهم ، وكفروا بعد إيمانهم ، إنما زين لهم الشيطان أعلمهم القبيحة ، وحسنها في أعينهم ، وخدعهم بالأمال الكاذبة ، ومد لهم في الأمان والأجل ؛ ليغريهم بالمزيد من الفساد والعناد . ثم يكشف تعالى عن سبب توليهم عن الهدى بعد أن عرفوا طريقه ، وهو أنهم توادثوا مع

(١) سورة الأعراف ( الآية ١٧٩ )

الكافرين واليهود، وناصر وهم، وقالوا لهم: سلطونكم في بعض الأمور التي ترضيكم، من التأمر على الإسلام، والدرس والكتاب لأهله، ولكن الله يعلم ما يسرؤن من مكر حفي وسباقهم منهم فيما إذا يجذبكم كيدهم أمام قوة الله سبحانه، وكشفه مؤامراتهم؟ فانظر إلى حال هؤلاء المنافقين حين يحضر أحدهم، وتتوفاهن الملائكة، فترى أرواحهم وهي بصير بود وجروحهم وأدبارهم، لأنهم يتفاهمون أنّهم ما يغضّ الله وأحبّه، وكرهوا ما يحبّه الله ويرضاه، من الشّيات على الإيمان، وصدق النّية في الحجّاد، وحبّ الخير لِلإسلام وأهله، فجازاهم على ذلك بقطلان أعزّاهم، وتدبر كيدهم، ونضبيع ما قدموه من الاعمال الصالحة في حال تعظّ لهم بالإيمان، لأنّها ليست خالصة لله.

من الآية رقم (٢٩) إلى الآية رقم (٣٢)  
من سورة محمد

مِنْ حَبْتُ الظَّرَفَ فِي قُلُوبِهِمْ  
مَرْضٌ أَنْ لَا يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَانَهُمْ ⑥ وَلَوْلَا  
لَا رَيْنَاكُمْ فَلَا عِرْفُنَاهُمْ وَلَا عِرْفُنَاهُمْ فِي هَذِهِ  
الشَّوَّالِ وَأَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ⑦ وَلَمْ يَلْعَمْكُمْ حَتَّى تَعْلَمُونَ  
الْمُجْهَدُونَ مُسْكُنٌ وَالْمُصْبَرُونَ وَيَلْوُوا أَخْبَارَكُمْ ⑧ إِنَّ  
الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا أَعْنَاءَ مُسَبِّلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِنْ  
بَعْدِ مَا شَهَدُوا لَمْ أَصْدِكُمْ لَئِنْ يَقْبَرُوا اللَّهُ شَيْئاً وَمِنْ خَرْجِ  
أَنْفُسِهِمْ ⑨

معاني الكلمات والجمل :

- في قلوبهم مرض : في قلوبهم ظلمة وشك ونفاق.
- أصغائهم : ما في نفوسهم من الحقد والحسد.
- لاريناكم : لدللناك عليهم، وعرفناك
- أشخاصهم .
- بعلاماتهم وملاعفهم .
- بسياهم

لحن القول : أسلوب القول وفحواه والتوانه .  
 ولنبلو نكم : لختبرنكم بالشدائـد والمحن والجهاد .  
 ونبـلوـ أخبارـكم : تختـرـ أعمـالـكمـ حـسـنـهاـ وـقـيـحـهاـ .  
 وشـاقـواـ الرـسـوـلـ : عـادـوـهـ وـخـرـجـواـ عـنـ طـاعـتـهـ .

### فضح المنافقين وكشف نواياهم

بعد أن كشف سبحانه وتعالى أمر المنافقين ، وموالاتهم  
 للكافرين واليهود وبين مصيرهم وما يتـظـرـهـمـ من العذاب  
 والفضيحة عند الموت وبعده - قال :

«إِنَّمَا حَبَّبَ اللَّهُ بَنِي قَلْبَهُمْ مَرْضٌ أَنَّ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَشْعَارَهُمْ» ﴿١٠﴾ .

أيظن هؤلاء المنافقون الذين ارتدوا عن المهدى بعد إـذـ جـاءـهـ  
 أـنـ سـرـهـمـ سـيـفـلـ خـافـيـاـ ، وـأـنـ اللهـ لـنـ يـفـضـحـهـمـ ، وـيـكـشـفـ  
 سـرـهـمـ ، وـيـبـيـنـ حـقـدـهـمـ وـحـسـدـهـمـ وـبغـضـهـمـ لـلـاسـلامـ  
 وـالـمـسـلـمـيـنـ ؟

أـلـاـ يـدـرـكـ هـؤـلـاءـ أـنـ اللهـ جـلتـ قـدرـتـهـ لـوـ اـرـادـ أـنـ يـعـرـفـ  
 الرـسـوـلـ بـهـمـ لـكـشـفـ لـهـ عـنـ ذـواـتـهـ وـأـشـخـاصـهـمـ ، وـأـبـانـ مـكـتـونـ  
 أـسـرـاـرـهـمـ ؟

وقد أـنـزـلـ سـبـحانـهـ بـعـدـ ذـلـكـ سـوـرـةـ بـرـاءـةـ ، وـبـيـنـ فـضـائـحـهـمـ :  
 وـهـذـاـ كـانـتـ تـسـمـىـ : (الـفـاضـحةـ) . لـوـ نـشـاءـ يـاـ مـحـمـدـ لـأـرـيـكـ  
 أـشـخـاصـ الـمـنـافـقـيـنـ ، فـعـرـفـتـهـمـ عـيـانـاـ بـعـلـامـاتـهـمـ وـمـلـاحـيـهـمـ ،

ولسوف تعرف فهم يقيسا من فحوى كلامهم، وأسلوبهم في الحديث، ومن قلبات اللسان، ونبرات الصوت التي تكشف عما تخفي الصدور من حقد. وهل تخفي الأعمال أو التوابع على العليم الخبر الذي لا تخفي عليه خافية في الأرض ولا في السماء؟

### الوعد بالابتلاء

جعل الله تعالى الابتلاء سنة من سنته في خلقه؛ ليميز الخبيث من الطيب، وصحيح الطائع من فاسدها، وقوة الإيمان من ضعفه. وقد جرت حكمة الله بهذا الابتلاء بعد دعوى الإيمان، حتى يختبر صدق الناس في دعواهم، وثبتاتهم على الحق، وطاعتهم لله ورسوله في النساء والضراء، والصبر على المكاره، وعلى أداء التكاليف.

ولاشك أن الله تعالى عالم بما كان وما يكون وما هو كائن ولكن قوله تعالى: **إِنَّمَا يَعْلَمُ الْمُجْتَهِدُونَ مِنْ أَنْفُسِهِنَّ** يعني علمه تعالى بواقع ذلك. ونحن نعلم أن الله تعالى لا تنفعه طاعة، ولا تضره معصية؛ ولذلك أكد هنا حقيقة أن من كفر بالله، وصد الناس عن الإيمان به، وأعلن الحرب والعناد على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إنما يسيء، أكثر إساءة إلى نفسه، وبخاصة أن يفعل ذلك بعد ما تبين له الهداية، ووضحت معالم الحق أمامه، وعلم أن ما جاء به (محمد)

الصادق الأمين هو الحق المبين.

فهذا المكين إنما يضر نفسه، ويسودي بها إلى الخرمان في الدنيا والآخرة، ولن يضر الله شيئاً لأن الله هو الغني عن عباده، العزيز الممتنع، وسيحيط أعمال الكافرين السيدة التي يحاولون بها عرقلة الدعوة، وأفواهم الحسنة؛ لأنها لم ترتبط بعقيدة الإيمان؛ فلَا تنفعهم في الآخرة.

\* \* \*

من الآية رقم (٣٣) إلى الآية رقم (٣٨) آخر سورة

محمد

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ لَا اسْتَأْمِنُوْا إِلَيْهِمْ أَطْبَعُوا أَنَّهُمْ  
وَأَطْبَعُوا الرَّسُولَ وَلَا يُنْظِلُوا أَعْنَالَكُمْ ③ إِنَّ الَّذِينَ  
كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَا تَبَوَّا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَمْ  
يَعْفُرُوا لِهِمْ ④ فَلَا يَرْجِعوا وَلَدُعُوا إِلَى الظُّلْمِ وَإِنَّمَا  
الظُّلْمَ لِلْأَعْلَوْنَ وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ ذِيَّرُهُ لَا يَرْجِعُ أَعْنَالَكُمْ ⑤ إِنَّ  
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَعْبٌ وَطُورٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَلَنَقُولُ بِرُزْنَكُمْ  
أَجْوَرُكُمْ وَلَا يَرْجِعُ أَمْوَالُكُمْ ⑥ إِنْ يَعْلَمُوكُمْ  
فِي حَكْمِكُمْ تَحْلُوا وَيُخْرِجُ أَمْغَانَكُمْ ⑦ هَذَا نِعْمَةٌ  
هُنَّ لَا يَنْدَعُونَ لِنَتَفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَمَّا كُمْ مِنْ يَجْعَلُ  
وَمَنْ يَجْعَلُ فَلَمْ يَجْعَلْ عَنْ تَقْيِيدِهِ وَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ وَإِنَّمَا  
الْفَقْرَاءُ وَإِنْ تَوْلُوا بِسْبِيلَهُ فَوَمَا غَيْرُكُمْ لَا يَكُونُوا

أَعْنَالَكُمْ ⑧

## معان الكلمات والجمل

ولَا تعطوا أعمالكم : لا تضيئوا ثواب أعمالكم بالتفاق أو العُجُب والرُّياء .

فلا تهرا : لا تضعفوا .  
وقدعوا إلى السلم : وتدعوا إلى المهدية والصلاح والسلام .  
وأنتم الأعلون : وانتم الأعزة الطافرون الغاليون .  
ولن يترككم أعمالكم : لن ينقصكم أي شيء من ثوابها .  
ولَا يسألكم : لا يسألكم إنفاق كل أموالكم ، ويلمح  
أعمالكم عليهم في إنفاقها .  
فيسألهم جميع أموالكم ، ويلمح عليهم في  
إنفاقها .

ويخرج أضعافكم : يبرز ما في قلوبكم من الأحقاد والبخل  
وحجب المال .

يخل عن نفسه : يدخل على نفسه ، ويُحرِّمها ثواب  
الإنفاق .

وإن تتولوا : تعرضوا عن الإنفاق والجهاد ، وتغفلوا  
أوامر الله .

يستبدل قوما غيركم : يختار قوما آخرين أقدر على حل الأمانة .  
ثم لا يكونوا : ثم لا يشتهوكم في البخل والهرب من  
أمثالكم الإنفاق .

تحذير المؤمنين من مصير أعداء الله :

بعد أن بين سبحانه أمر المنافقين والمرتدين ، وإبطاله لأعماهم الصالحة ، حتى لا تنفعهم في الآخرة - أمر المؤمنين بطاعة الله ورسوله ، ونهاهم عن هتابعة المنافقين أو المرتدين في أفعالهم الذميمة ، وحذّرهم من أن يُظلوّا أعماهم كما أبطلها هؤلاء بالرّدة عن الإسلام ، أو النفاق في الأقوال والأفعال المصحوبة بعدم الإخلاص ، أو قصد الرياء والسمعة . وكشف لهم عن مصير الكافرين الذين لم يكتفوا بکفرهم ، بل راحوا يصدّون عن سبيل الله ، ويعادون رسول الله وبخروجون عن طاعته ، ثم يعودون وهم كذلك . فهوّلأء لن يغفر الله لهم ، وهذا كما قال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لِأَنْ يُشَرِّكَ إِلَيْهِ وَيَغْفِرُ مَدْوَنَ ذَلِكَ لِمَنْ يَتَّقَى ﴾ (١) .

أنت الأعلىون :

فلا تهنوا أيها المسلمون وتضعفوا ، وتدعوا إلى المهاونة والمسالة ، ووقف القتال بينكم وبين المرتدين ، في حال قوتكم وعلوّكم عليهم ، وانتـم بفضل الله الأعلىون في كل شيء ، والاعزة الغالبون ؛ فإن الله معكم بالنصر والتـائـيد ، يدافـع عنـكم ، ويـخـذـلـ أـعـدـاءـكم ، يـطـمـئـنـكمـ وـيـلـقـيـ فـلـوـرـهـمـ الرـعـبـ ،

(١) سورة النساء / الآية ١٣٦

يضايق لكم الأجر ، ويجيب أعناظم

فكل ما تبذلونه في سبيله من مال أو جهد أو روح - مُذخر لكم ، لا يضيع منه شيء ، ولن ينقصكم شيئاً من أعمالكم الصالحة ، بل يوفيكم أجراها ، وزيادة من فضله . فأنتم جند الله المعززون المكرمون الفائزون المأجورون .

لا تركناكم إلى الدنيا :

إياكم أيها المسلمين أن تركناكم إلى الدنيا ، وغمّركم زخرفها ، ففيها لعب ولهو ، تخدع وتلهمي وتغريكم بما لها الكاذبة ، ولا خير فيها إلا ما كان منها الله ، مما يجعلها بحق مزرعة للأخرة ، وفرصة للسعادة والجهاد والتقوى ، فيها تصبح الحياة جداً لا هرزل فيه ، وترتفع قيمة أعمال المؤمنين المتقيين ، فينقذها الله تعالى ، ويسبب عليها الشواب الجزيل في دار النعيم ، ويؤتيكم أجوركم كاملة ، ويتفضل عليكم برضاه ورحمته وتقدير ما تبذلون في سبيله .

رحمة الله في سر التكاليف :

وإن الله لم يفرض عليكم الزكاة لنفسه ، فإنه سبحانه الغني ، وإنما أوجبها عليكم مواصلة لأخواتكم الفقراء ، ليعود نفع ذلك إليكم .

وإن الله قد فرض عليكم قدرًا يسيراً من المال صدقة ، فهو

تعالى في تكاليفه براعي التسر ، وعدم الخرج والمشقة ، ولو أوجب عليكم إخراج جميع أموالكم لخلتم بها ولضافت صدوركم ، فظهرت الأضطرار والأحقاد ، لأن المال محجّب إلى التفوس . وهذا أنت أولاً ، أيها المسلمون تذعون لإإنفاق جزء يسير من أموالكم ، ومع هذا فمثلكم من يدخل ويمسك عن النفقة ، ومنكم من لا يدخل ، وهم الأخيار الكرماء ، ومن يدخل فإنما يعود ضرر بخله على نفسه ، لأنّه حرم نفسه الأجر والمثوبة والبركة . والله الغني عنكم ، وأنتم الفقراء المحتاجون إليه سبحانه في كل صغيرة وكبيرة من أمور دينكم ودنياكم . فهو الذي أعطاكم المال في الدنيا ، وهو الذي يشيكم على الإنفاق في الآخرة . فاحذروا الشّرخ بيد الله الذي آتاكم ، حتى لا ينحركم الأجر والمثوبة في الآخرة .

تكريم الله للمؤمنين باختيارهم لحمل الأمانة :

فاتقوا الله أيها المسلمين ، وأطاعوا الله ورسوله ، فإنكم إن انصرفتم عن النّفقة والجهاد والعمل الصالح ، ولم تقوموا بتكاليف هذه الأمانة ، ولم تقدروا حق هذه النّعمة . فإن الله تعالى يخلف مكانكم قوماً آخرين ، ثم لا يكونون مثلكم في الشّرخ والإعراض .

وفي هذا من التهديد ما تخلع له القلوب : لأنّ أعظم الخسران أن يطرد الله العاصيin من رحمته ، ويختار لدعوته قوماً آخرين .

وهذا خطاب من الله لل المسلمين أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذين لم يسلم صفهم من وجود من يدخل بهاله، ويغضّن بإنفاقه، وهو خطاب كذلك للأجيال المسلمة إلى يوم الدين . وهذا لا ينفي أن غالبية أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانوا نمادج مثالية عالية في البذل والعطاء، والتضحية والإيثار والغداء، وكانتوا يتبارقون في الإنفاق والجهاد طاعة الله ورسوله ، وحبّا لها .

\* \* \*

## سورة الفتح

### التمهيد :

- أ - هي سورة مدنية، نزلت في السنة السادسة من الهجرة في الطريق عند اصراف المسلمين من الخديبية.
- ب - في السورة الكريمة بيان لصلح الخديبية الذي تم بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والشركين، وقد اشتمل ذلك الصلح على خير عميم للمسلمين؛ لما أعقبه من فتح عظيم.
- ج - وقد جاء في السورة أيضا ذكر بيعة الرضوان التي بايع فيها الصحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الجهاد في سبيل الله حتى الموت.
- د - وكذلك جاء في السورة ذكر المخالفين عن الخروج مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الأعراب الذين في قلوبهم مرض، وقد كشف الله سرائرهم، وسوء ظنهم.
- هـ - وكذلك اشتملت السورة على ذكر الرؤيا التي رأها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفيها يُشرى للمسلمين بدخول المسجد الحرام آمنين مطمئنين، وقد حفّق الله لهم ذلك بعد صلح الخديبية بعام.
- و - وقد ختم الله السورة بالثناء على رسوله والمؤمنين، وقد وعدهم الله من فضله مغفرة وأحرزا عظيماً.

مکتبہ الرحمہ

أَنَّا فَتَحْنَا لَكَ قُلُوبًا مُبِينًا ① لَيُعَفِّرَنَّكَ اللَّهُ مَا تَقْدِمُ مِنْ  
ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخُرُ وَيَنْهَا نَعْمَلُهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيْكَ حِيرَةً مُبِينًا  
مُتَبَيِّنًا ② وَيَنْصُرُكَ اللَّهُ نَصْرًا عَنِّيْرًا ③ هُوَ الَّذِي  
أَنْزَلَ السِّكِّينَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيزْدَادُوا إِيمَانًا مُعَظَّمًا  
إِنَّهُمْ رَبِّهِمْ بِحُرُودِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ  
عَلَيْهِ حَكْمًا ④ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَاحَ  
تَغْرِيَةٍ مِنْ تَحْتِهَا الْأَجْهَنَّمُ خَلِيلِيْنَ فِيهَا وَلَا يَكْفِرُ عَنْهُمْ  
سِيَّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيْمًا ⑤ وَيَعْذِبُ  
الْمُنْتَفِقِينَ وَالْمُنْتَفِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ  
الْفَطَّارِيْنَ يَا أَنَّهُ طَنَ الرَّوْحَمَةِ عَلَيْهِمْ دَاهِرَةُ السُّوءِ وَغَيْضُ  
اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَلَعَنْهُمْ وَأَعْذِبُهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصْبِيَّهُمْ ⑥

وَإِلَهُنَّ مُحَمَّدُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا

## حَكِيمًا

معاني الكلمات والجمل :

فتحاً فَيَنَا : فتحاً بَيْنَا ظاهراً .

مَا تَقْدِمُ مِنْ ذَبْنِكَ : جَمِيعُ مَا فَرَطْتُ مِنْكَ أَوْ يَفْرَطْ مِنْهُ مَا هُوَ  
وَمَا تَأْخُرُ : خِلَافُ الْأُولَى .

وَتَبْتَعِمُ نُعْمَانَهُ عَلَيْكَ : يَكْحُلُ نُعْمَانَهُ عَلَيْكَ يَا عَزَّازَ الدِّينِ ، وَالنَّصْرِ  
الْمَبِينِ وَالْفَتْحِ .

وَرَهْدِيكَ صَرَاطًا : يَرْشِدُكَ إِلَى الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ وَيُبَشِّرُكَ عَلَيْهِ .  
مَسْتَقِبِيَا

نَصْرًا عَزِيزًا : نَصْرًا قَوِيًّا مُنْيَا فِيهِ عَزَّةٌ وَمَنْعَةٌ .

الْكَيْنَةُ : الْطَّمَآنِيَّةُ وَالثِّبَاتُ وَالرَّاحَةُ وَالْاسْتِقْرَارُ .

لِيزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ : لِيزْدَادُوا يَقِنَّا وَثِقَةً بِاللَّهِ ، وَثِبَاتًا عَلَى  
الْحَقِّ .

الظَّانِينَ بِاللَّهِ ظَنٌّ السُّوءُ : الظَّانِينَ بِاللَّهِ أَسْوَأُ الظُّنُونِ بِاعْتِقَادِهِمْ أَنَّ  
اللَّهَ سَيَتَخَلَّ عَنِ رَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَلَنْ يَنْصُرُهُمْ .  
السُّوءُ

عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ : دُعَاءُ عَلَيْهِمْ بِالْهُلاَكِ وَالْدُّمَارِ الَّذِي  
يَتَوَقَّعُونَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ .

غضب الله عليهم : سخط عليهم ، وطردهم من رحمة  
ولعنةهم

وساءت مصيرا : قبحت مرجعاً ومالاً ومن قبلها .

### سبب نزول سورة الفتح :

نزلت سورة الفتح بعد صلح الحديبية في ذي القعدة سنة  
سنتين من الهجرة ، وكان تزويها يُشري لرسول الله - صلى الله  
عليه وسلم - بفتح مكة الذي تم سنة ثمان من الهجرة ، وقد  
غمرت قلبه الفرحة والاستئثار بهذا الرضا العظيم ، والتأييد  
الظافر ، والفتح المبين ؛ لذلك عدَّ كثير من الصحابة صلح  
الحديبية هو الفتح .

فقد روى البخاري عن البراء بن عازب - رضي الله عنه  
قال : «تعدون أنتم فتح مكة ، ونحن نعد الفتح بيعة  
الرضوان يوم الحديبية » .

وقد روى الإمام أحمد بإسناده عن عمر بن الخطاب - رضي  
الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : «نزل  
عليَّ البارحة سورة هي أحب إلىَّ من الدنيا وما فيها : إنا فتحنا  
لَك فتحاً مبيناً . ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر» .

كيف كان صلح الحديبية فتحاً مبيناً ؟

يقول الشعبي : نزلت «إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً» في وقت

الخديبية، أصاب فيها رسول الله ما لم يُصب في غيرها؛ بُويع بيضة الرضوان، وأطعموا تخل خير، وظهرت الروم على فارس تصديقاً لخيره، وبلغ الهدى نجاته وقدف الله الرعب في قلوب المشركين بعد أن علموا بيضة المسلمين تحت الشجرة على الموت، فكأنوا أول من عرض المصالحة، معتذرين عما بدر من سفهائهم، ثم ارتفعوا أن يعود المسلمون عامهم الم قبل ليدخلوا المسجد الحرام آمنين معتصرين، وقد أمن المسلمون على أنفسهم في ظل هذا الصلح، وخلي بينهم وبين الناس يبلغوهم دعوة الله، قددخل الناس أفواجاً في دين الله . وكانت بيضة الرضوان وحدتها ربحاً عظيماً، كشف عن عمق الإيمان، وتقديم النفوس عن طواعية قداة الله ورسوله، كما كان هذا الصلح تمهدًا طبيعياً لفتح مكة بسبب نقض قريش للعهد، وقد جعل الصلح المسلمين أنداداً لقريش فقد اعترفوا بقوة رسول الله وأتباعه، بعد أن كانوا لا يَقرُّون بذلك . خلص الله المسلمين من بقايا الأخطبوط اليهودي فظهر الرسول أرض خير، وعادت على المسلمين بعثاثم كبيرة.

فضل الله على رسوله :

من حق الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يفرج بذلك السورة فرحاً عظيماً، حسداً إحسانه بفضل الله عليه وعلى المؤمنين، ورأها هدية من ربها هي أحب إليه من الدنيا وما

فيها . فلقد أكرم الله رسوله ، وزاده شرفاً وتعظيمًا ، حين عفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

وحاشا لمحمد أن يكون من المذنبين ، وهو القائل عن نفسه : «أما والله إني لا أخشاكم الله وأتقاكم له» بل إنه أعظم خلق الله طاعة ، وأكملهم خشية ، وإنما أراد أن يزيده تكريماً ورفعه ، وبخضصه بما لم يخص به أحداً من رسالته وحملته . وقد يكون المراد أن يعفر له جميع ما وقع منه أو سيقع مما ليس بذنب ، وإنما من باب ترك الأولى ، كقوله الفداء من أسرى بدر . كما شره بأنه سيئم عليه النعمة في الدنيا بالفتح والنصر وانتشار الإسلام ، ويرهده ويرشده إلى الطريق القويم ، والشرع العظيم ، الذي يصلح أمر البلاد والعباد ، ويؤدي في الآخرة إلى أعلى مراحل الحنان . فيما وعده به كذلك أن ينصره ذلك النصر القوي المتبع على أعدائه ، بحيث يحقق له به عز الدنيا والآخرة .

فضل الله على المؤمنين :

ولقد من الله على المؤمنين بأن ملائهم طمأنينة وبياناً ، وراحة واستقراراً ، في جو كانت طروفه تثير الأعصاب ، وتندفع إلى القلق الشديد ، والضيق بعنت قريش وقتلها ، ومجاجاتهم وقد جاءوا معتزرين غير مسلحين بموقف البيعة على الموت ، ثم إنحراف هذه الحماسة العارمة بقبول الشروط الجائرة التي تفرضها قريش . كل هذه الأحداث كانت تتفاعل عنيفة في نفوس

الصحابة . لقد اندفعوا إلى البيت الحرام متشوقيين متلهفين  
مستبشرين بروبا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فما باهم  
يضطرون إلى الرجوع دون تحقيق هذه الرؤيا المباركة ؟

كانت هذه القلوب التي اهتزت بشدة أمام هذه الواقع  
بحاجة حاسنة إلى تلك السكينة التي تنزل عليهم من يد  
الرحمن ، تملأ القلوب أمها ورضا وسكونة وبرد يقين . فسرعان  
ما استجابت لأمر الله ورسوله ، ورحيت بحكمهما ، وأحسست  
المزيد من الإيمان والتصديق والتسليم لله ، وتحقق لها الخير  
الذي أراده الله ، فما أنزل الله السكينة في قلوبهم إلا ليزدادوا  
إيماناً مع إيمانهم ، وليتفقوا بأن الله جنود السموات والأرض ، وأنه  
لو أراد لهم دخول البيت الحرام ما وقف في سبيلهم شيء ، ولكن  
الله تعالى العليم الحكيم قضى في الأمر على وفق علمه  
وحكمته : ليشعر المؤمنون بأثر هذه السكينة التي ينزلها الرحمن  
على عباده في الأوقات العصيبة ، وليحسوا درجة ارتفاع الإيمان  
ونسوه في نفوسهم ، ولتكونوا أهلاً لما أعد الله لهم من النعيم  
المقيم ، والفوز العظيم في الآخرة ، جراء صدقهم وطاعتهم ،  
وسباتهم وجهادهم ، وليدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار ،  
خالدين فيها لا يبغون عنها حولاً ، يتمتعون فيها بما لا عن  
رات ، ولا اذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . كما يشملهم  
بفضله وعفوه فيمحو عنهم خطاياهم ، ويغفر لهم ذنوبهم ،

وستره عيوبهم . وذلك لأنك فوز عظيم ما يعلمه فوز ، وسعادة دائمه ليس بعدها سعادة .

وَمَا يُزِيدُهُمْ رَضًا وَفِرَحًا مَا يَرُونَهُ مِنْ عَذَابِ الظَّافِقِينَ  
وَالظَّافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ، الَّذِينَ سَاءَ ظَلَمُهُمْ بِاللَّهِ،  
هُتَوْهُمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَنْ يَكْتُبَ النَّصْرَ لِرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّهُمْ  
سَيُبَادَوْنَ عَنْ أَخْرَهُمْ، فَاسْتَحْقَوْا بِذَلِكَ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ  
لِظَّلَمِهِمْ، وَسُوءِ ظَلَمِهِمْ بِاللَّهِ، وَإِيَّاهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ. فَلَسْوَفَ تَدْوُرُ  
عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَالْهُلاَكِ، وَلَسْوَفَ يَنْاحِمُ غَضْبُ اللَّهِ وَلَعْنَتُهُ  
وَطَرَدُهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَمَا يَتَظَرَّهُمْ إِلَّا خَلُودٌ فِي سَارِ جَهَنَّمِ الَّتِي  
أَعْدَهَا اللَّهُ وَهِيَ أَهْوَانُ لِاستِقْبَالِ الْمُجْرِمِينَ. وَمَا اسْوَأُ ذَلِكَ مِنْ مَصِيرٍ

ثم أكد سبحانه عظيم قدرته، وواسع سلطانه، فقال :  
﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾  
فهو سبحانه القادر على أن يؤيد كل من أحسن به الظن ، وتوقع  
 منه الخير . كما أنه لا يعجزه من أساء به الظن ، ولا يغتله من  
 قضته .

من الآية رقم (٨) إلى الآية رقم (١٠) من سورة الفتح

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَمُذَلِّلًا ⑤  
 لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْزِيزُوهُ وَتُوَقْرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بَكْرَةً  
 وَأَصْبَلًا ⑥ إِنَّ الَّذِينَ رَبِّيْعُونَكَ إِنَّمَا يَسْأَلُونَ اللَّهَ يَدَهُ  
 اللَّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَنَنَكَتْ لَهُمْ كَمْ كُنْتْ عَلَىٰ نَفْسِهِ  
 وَمَنْ أَوْفَىٰ بِهَا مُخْلِهِهِ حَلْبَهُ اللَّهُ فَيُبَرِّئُهُ أَجْرًا عَظِيمًا ⑦

### معانى الكلمات والجمل

- شاهدًا** : تشهد على أمرك بأنك بلغتهم رسالة الله ، وبيانها لهم خير بيان .
- وتعززوه** : تقووه وتنصروه ، بنصرة دينه وشرعه .
- وتُوقروه** : وتعظموه وتخصوا جلال رب بيته .
- وتشبّحوه بكره** : وتنزّهوا بكم عن لا يليق بجيشه وجلاله صباحاً ومساءً .
- وأصلًا** : يعاهدونك .
- يسألونك** : نقض العهد .
- نكث** : ينكمث على نفسه .
- ينكث على نفسه** : يعود وبالنقض والخيانة عليه .

ومن أوفى بما عاهد : من وقى بالتزامه واستمسك بعهده مع  
عليه الله . . . الله .

وظيفة الرسول صلى الله عليه وسلم :

بعد أن من الله على المؤمنين بإثارة السكينة في قلوبهم ،  
وتوعده المشركين والمنافقين بالخزي في الدنيا ، والعذاب في  
الآخرة . ذكر سبحانه أنه أرسل رسوله محمداً - صلى الله عليه  
وسلم - ليُبَيِّنَ للناس ما نزل إليهم من ربهم ، ول يكن شاهداً  
على الناس أجمعين بتصديق الرَّسُول أو تكذيبهم ، كما كلفه أن  
يكون مُبَشِّراً للمؤمنين برضوان الله ومغفرته وجهته ، وندِيرًا  
للكافرين والمنافقين بعذاب الله ونقمته .

ثم وجَّه سبحانه الخطاب للمؤمنين بأنَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولَهُ  
بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ؛ لِيُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَا جاءُهُمْ بِهِ مِنْ  
عِنْدِ اللهِ، وَيُحَقِّقُوا مَنْطَلَبَاتِ هَذَا الإِيمَانِ، وَيَنْهَاوُا بِتَكَالِيفِهِ،  
فَيُنَصَّرَ وَاللهُ تَعَالَى وَيُؤَازِرُوهُ بِنَصْرَةِ دِينِهِ وَشَرْعِهِ، وَيُعَظَّمُوهُ  
وَيُحَلُّوا أَمْرَهُ، وَيُزَهَّهُوَهُ تَعَالَى عَنْ كُلِّ نَفْسٍ، وَيُسْتَحْوِهُ فِي  
الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ؛ لِيَكُونَ الْقَلْبُ مَتَّصِلاً بِاللهِ فِي كُلِّ حِينٍ . وَتَلِكَ  
هِيَ الْغَايَةُ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا أَرْسَلَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم .

بيعة الرضوان :

تَسْمَيْتُ بِيَعْتَدُّ الْمُسْلِمِينَ لِرَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -

تحت الشجرة في الخديبية (بيعة الرضوان) لقوله تعالى :  
وَلَقَدْ رَحِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا يَأْتُوكُمْ تَحْتَ أَشْجَرَةٍ<sup>(١)</sup> وقد  
باعته أصحابه - رضوان الله عليهم - على الموت صادقين في  
بيعتهم ، كما ورد ذلك في حديث رواه الشیخان عن سلمة بن  
الأکوع أنه قال :

«باعنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الموت».

فصدقهم الله تعالى بقوله :  
إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يَبَايِعُونَ اللَّهَ<sup>(٢)</sup> وهذا كقوله تعالى : «وَمَنْ  
يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ»<sup>(٣)</sup> . فما أعظم تلك البيعة ! وما أحلى  
قدرها ! وقد استشعر المؤمنون أن يد الله في تلك البيعة فوق  
أيديهم ، فهو حاضر مع المؤمنين في بيعتهم ، يسمع أقوالهم ،  
ويرى مكانتهم ، ويعلم ما انطوت عليه قلوبهم . فيا خسارة من  
ينكث بعهده مع الله ورسوله ، فسيحرّم الخير كلّه ، ولن يضرّ  
الله شيئاً ، وسيتعرّض بعد ذلك لغضب الله ونقمةه ؛ لأنّه تعالى  
للآوفاء من عباده ، فلا عجب أن يجزيهم على وفائهم بالعهد  
خير الجزاء ، وأن يعذهم أجزاء عظيمة . وهل هناك أعظم أجزاء  
من نعيم الجنة التي أعدّها الله للأبرار المتقين ، والآوفاء  
المخلصين ؟ !

أصحاب البيعة خير الناس :

روى الحرمي عن جابر - رضي الله عنه - قال : كنا يوم

الحادية ألفاً وأربعين، فقال لنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «أنتم خير أهل الأرض يوم»<sup>(١)</sup>.

وروى الإمام (أحمد) عن (جاير) أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «لا يدخل النار أحدٌ من بايع تحت الشجرة».

\* \* \*

---

(١) أخرجه البخاري وسلم من حديث معاذ

من الآية رقم (١١) إلى الآية رقم (١٥) من سورة الفتح

يَقُولُ لَكُمْ الظَّالِمُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلُوكُمْ أَبْوَالَكُمْ  
وَأَهْلُوكُمْ فَإِذَا تَغْفِرُ لَكُمْ يَقُولُونَ بِالسَّيِّئِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ  
قُلْ لَمَنْ يَعْلَمْ لَكُمْ مِنْ أَنَّهُ شَغَلَ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًا أَوْ  
أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ عَلَىٰ تَعْلُمُوا خَيْرًا ① بَلْ  
يَلْتَهُمْ أَنْ لَمْ يَعْلَمُ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيَّتِهِمْ  
أَيْدِيَاهُمْ دَرَكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَخَلَقْتُمُهُمْ عَلَىٰ أَرْوَاهُمْ وَكُنْتُمْ  
قَوْمًا بُورًا ② وَمَنْ لَمْ يَتَوَمَّرْ بِأَنَّهُ وَرَسُولُهُ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا  
لِكُلِّ كُفَّارٍ سَعِيرًا ③ وَلَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
يَغْفِرُ لَمَنْ يَشَاءُ وَيَعْذِبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا  
رَحِيمًا ④ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِذَا أُعْلَمْتُمُوهُ إِنَّ مَغَافِرَتَهُمْ  
لَنَا خَدَوْهَا ذَرْوَهَا لَنْ يَعْلَمُ بِرِبِّهِمْ أَنْ يَسْأَلُوا كَلِمَةَ اللَّهِ  
قُلْ لَمَنْ يَعْلَمُونَا كَذَلِكَ يَكُونُ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلٍ فَيَقُولُونَ  
بَلْ خَلَدْنَا بَلْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ إِلَّا قَلِيلًا ⑤

## معان الكلمات والجمل

المختلفون من : المخالفون عن الخروج مع رسول الله -  
صلى الله عليه وسلم - عام الحديبية من الأعراب  
الأعراب المقيمين حول المدينة من أهل البوادي .

شغلتنا أموالنا : شغلتنا عن الخروج معك أمرانا  
وأهلونا ، لعدم وجود من يرعاهما في غيابنا .  
فاستغفر لنا : اسأل الله لنا المغفرة .  
فمن يملك لكم من : من يمنعكم من قضاء الله وإرادته ؟  
الله شيئاً ؟

لن ينقلب الرسول : لن يرجعوا إلى المدينة من رحلة الحديبية .  
والمؤمنون

وزين ذلك في : زين الشيطان لكم هذا الظن السئ  
وحسنه ، حتى تُعْلَمُوا قلوبكم .  
أخذتنا للكافرين : هبّانا وأعددنا لهم نارا حامية مستعرة .  
سعيرا

معان : غنائم خير .  
ذروننا تشبعكم : اتركونا نخرج معكم للمقاتل في خير .  
يريدون أن يبدلوا : يريدون تعديل ما وعد الله به أهل الحديبية  
من اختصاصهم بغنائم خير .  
كلام الله

بِلْ تَحْسِدُونَا : إِنَّكُمْ تَعْنِيُونَا مِنْ أَنْتُمْ كُمْ حَذَا عِنْكُمْ ،  
حَتَّى لَا نَشَارِكُكُمْ فِي الْغَيْرَةِ .

فَوَمَا يُورَا : قَوْمًا هَلْكَى مُسْتَحْقِينَ لِعِقَابِ اللَّهِ .

### أعذار المنافقين الواهية

لما عاد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى أداء العمرة عام ستة من الهجرة، تخلف الأعراب المقيمون حول المدينة من أعراب أشجع وأسلم ومؤذن وغفار وحبيبة، حيثما على أنفسهم من أهل مكة. ولم يصدقوا الرؤيا التي رأها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بدخول المسجد الحرام معتمرا هو وأصحابه، ولما رجع المسلمون سالمين اعتذر المنافقون عن تخلفهم بأعذار واهية فقالوا:

«شَغَلَتْنَا أَهْوَالَنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرُ لَنَا» كانت أهواانا وأهلوانا بحاجة إلينا، ولكن هل يصلح هذا عذرا للتخلف عن القيام بحق الله تعالى ورسوله، وحق دعوتهم عليهم؟ ومن من الناس لا أهل له ولا مال؟ لو كان الأمر كذلك ما خرج مع رسول الله أحد؛ وهاهم أولاً يطلبون من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يسأل الله لهم المغفرة فيكشف الله تعالى عن خبث تواباتهم، وأنهم خادعون كاذبون في طلب المغفرة، وفي اعتذارهم بالأهل والمال. والحقيقة أنهم منافقون جبناء «يقولون

باليستهم ما ليس في قلوبهم». فهؤلاء لم يحسوا ذنبًا، ولم يجتثوا تائين، وإنما أرادوا أن يخادعوا الله ورسوله، والله خادعهم وكاشف سرّهم وجنيهم.

ثم يأمر الله تباريه أن يسألهم عمن يستطيع أن يمنع عنهم قضاء الله وقدره. وهل ينجي حذر من قدر؟ وهل في تحالفهم ما يجعل لهم نفعاً، أو يدفع عنهم ضرراً؟ وهل غاب عن عقوتهم أن الله عليم خبير بكل أفعالهم الظاهرة والخفية؟

لذلك كذبهم الله تعالى في اعتذارهم، وفضحهم، وبين ما في قلوبهم من ظن سوء، إذ حبوا أن الرسول وصحابه لئن يعودوا سالمين، بل سيقتلهم المشركون ويبعدونهم عن آخرهم، وزين لهم الشيطان هذه الفكرة وحسنها. وقد استحق المنافقون بعدم إخلاصهم ظاهراً وباطناً، وبذلك ألطى الله السيني الهلاك والآخر في الدنيا، ونار العذير في الآخرة.

ثم فتح لهم سبحانه باب الرحاء، فآخرهم بأنه المفرد في ملك السموات والأرض، لا منازع له في ملكته، فهو وحده الذي يغفر لمن يشاء من تاب وأمن وعمل صالحاً، وينعذ من يشاء من أصر على نفاقه وسوء ظنه بالله تعالى.

ومع ذلك فرحة الله أسبق من غضبه؛ لأنه واسع المغفرة، عظيم الرحمة.

## طبع المناققين بالغناائم :

عندما عزم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على غزو خيبر، وأيقن المناققون الذين تخلفوا عام الحديبية بانتصار المسلمين على اليهود، والفوز بالغنائم الكثيرة - طمعوا في مشاركة المسلمين في الغزو؛ لتناولوا نصيباً من الغنائم . ولكن الله أمر رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يقول لهم : «لن تتبعونا كذلك» قال الله من قبل «وهذا لأن الله وَعَدَ أهل الحديبية الذين بايعوا بيعة الرضوان بالغنايم وحدهم دون غيرهم من المتخلفين . وقد اتهم المناققون المسلمين بحسدهم لهم في مشاركتهم الغنائم ، وأنهم ما منعواهم من الخروج معهم إلا لبؤروا الغنائم وحدهم ، فرد الله افتراءهم بقوله سبحانه : «أَلَّا كَانُوا لَا يَفْتَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا» . أي ليس الأمر كما زعم أولئك المفترون ، بل هم لا يفهمون إلا فيما قليلاً ، لحرصهم على متاع الحياة الدنيا ، ولو فهموا حق الفهم لعلموا أن حكمة الله قد اقتضت حرمانهم من الغنائم ؛ لتأخذه عن الجهاد ، وتکالبهم الآن طمعاً في المغنم ، وأن الذين يستحقون فضل الله هم أولئك الذين بايعوا على الموت مخلصين دون انتظار مغانم .

\* \* \*

من الآية رقم (١٦) إلى الآية رقم (١٧) من سورة الفتح

فِلْ

لِلْمُخْلَفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أَوْلَى بِأَنْسٍ  
شَدِيدٍ تُقْتَلُوْهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تَطْبِعُوا بِهِنْكَرَ اللَّهَ  
أَبْرَاجَهُنَّا وَإِنْ تُتَوَلُوا كَمَا تَوَلَّتُمْ مِنْ قَبْلِ يَعْدِيْكُمْ عَذَابًا

**الْيَمَّا** ⑥ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ  
حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمُرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ  
يُدْعَلَهُ حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِنْ خَيْرِهِ الْأَبْرَاجِ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعْدِيْهُ

عَذَابًا الْيَمَّا ⑥

معاني الكلمات والجمل:

أَوْلَى بِأَنْسٍ شَدِيدٍ : أصحاب قوة أشداء.  
كَمَا تَخَلَّفْتُمْ عَامَ الْحَدِيبَةِ .  
لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى : ليس على الأعمى إثم في ترك الخروج  
حَرْجٌ للجهاد.

ابتلاء المخالفين ومنهم فرصة جديدة :

بعد أن صرف الله المنافقين عن السير مع المسلمين إلى غزوة

خبير؛ لطمعهم في الحصول على الغنائم، وعدم إخلاصهم  
النية لله تعالى - منحهم فرصة للتوبة، وصدق النية والعزمية،  
فأمر رسوله - صل الله عليه وسلم - أن يقول لهم : إن الله  
سيدعوكم إلى قتال قوم أشداء أقوىاء في الحرب، وسيظل  
جهادكم لهم ماضياً حتى يؤمنوا بالله ورسوله، فإن أطعتم ولبيتم  
نداء ربكم فإن الله سيعذر لكم ويعطيكم من فضله أجراً  
عظيماً . أما إن توليتم، ورفضتم الخروج والتضحية، كما توليتم  
عام الحديبية - فإن الله سينتقم منكم، ويعذبكم عذاباً شديداً.

الأعذار المبيحة للتخلُّف عن الجهاد :

ثم بين سبعات الأعذار المسقطة لفرض الجهاد في سبيل  
الله ، فقال :

الْبَسْ عَلَى الْأَعْمَى حِرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حِرْجٌ وَلَا عَلَى الْعَرِيضِ حِرْجٌ<sup>(١)</sup>  
فكل من العمى والعرج عذر واضح مستمر، وأما المرض فعذر  
مؤقت حتى يزول .

فهؤلاء المذكورون لا إثم عليهم ولا عقاب إذا تخلفوا عن  
الجهاد في سبيل الله ، وإنما الإثم والعقاب على من تخلف دون  
عذر . المراد الحقيقي في هذا هو اختيار الطاعة أو المعصية .  
 فمن يطع الله ورسوله فإن الله سيدخله جنات تحرى من تحتها  
الأنهار ، ومن يتخلُّف عن الجهاد لغير عذر يعذبه عذاباً شديداً  
في الدنيا بالهزيمة والمذلة وبئس المصير .

٥ من الآية رقم (١٨) إلى الآية رقم (٢٣) من سورة الفتح

لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ  
بِسَاعِونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ قَعِيلَمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَزَلَّ  
الْكِبَرَةَ عَلَيْهِمْ وَأَتَبْهَمْ فَنَحَّا قَرِبًا ⑯ وَمَعَالِمَ كَثِيرَةَ  
يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ⑰ وَعَدَ اللَّهُ  
مَعَالِمَ كَثِيرَةَ تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لِكُلِّ هَذِهِ وَكَفَ أَيْدِي  
الشَّمْسِ عَنْكَ وَلَتَكُونَ ذَايَةً الْمُؤْمِنِينَ وَيَهُوَ كَمِيرٌ طَاغٍ  
مُسْتَقِيمًا ⑱ وَأَنْهَى لَرْ تَقْدِيرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا  
وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَقَدِيرًا ⑲ وَلَوْ قَاتَلُوكُ الَّذِينَ  
كَفَرُوا لَوْلَا الْأَدْبَرُ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيَأُولَئِكُمْ لَا يَصِيرُوا ⑳  
سُنَّةُ اللَّهِ الَّتِي مَدَحَتْ مِنْ قَبْلٍ وَلَنْ تَجِدَ لِسْتَةً اللَّهِ  
تَسْبِيْلًا ㉑

## معان الكلمات والجمل :

يَا يَعُونَكُمْ تَحْتَ شَجَرَةً سَمْرَةً  
الشَّجَرَةُ بِأَرْضِ الْخَدْيِبَةِ.

فَلَمَّا مَاتُوا فِي قُلُوبِهِمْ : مِنَ الْإِخْلَاصِ وَالصَّدَقِ وَالْوَقَاءِ  
السَّكِينَةِ : الْطَّمَانِيَّةِ وَالثَّباتِ.

وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا : جَازَاهُمْ بِفَتْحِ خَيْرٍ.  
وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً : مَغَانِمَ خَيْرٍ.

وَعَدْكُمُ اللَّهُ الْغَنَائمَ الْكَثِيرَةَ إِلَى يَوْمِ  
الْقِيَامَةِ.

فَعِجلُ لَكُمْ هَذِهِ : صَلْحَ الْخَدْيِبَةِ أَوْ مَغَانِمَ خَيْرٍ.  
وَكَفَ أَيْدِي النَّاسِ : صَرْفُ أَيْدِي النَّاسِ عَنْكُمْ فِي الْخَدْيِبَةِ،  
عَنْكُمْ كَمَا صَرْفَ أَيْدِي يَهُودَ خَيْرٍ وَحَلْفَانِهِمْ مِنْ  
أَسْدٍ وَغَطَّافَانِ.

وَلَتَكُونَ آيَةً : لِتَكُونَ نَتْيَاجَةً الْخَدْيِبَةِ، وَحَايَتُكُمْ مِنْ  
أَيْدِي أَعْدَائِكُمْ دَلِيلًا وَاضْحَى عَلَى أَنَّ اللَّهَ  
يَدْافِعُ عَنْكُمْ.

وَأَخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا : وَمَغَانِمَ أَخْرَى وَفَتْوحَاتٍ، لَا تَقْدِرُونَ  
عَلَيْهَا بِقُوَّتِكُمْ، يَسْوِلُهَا اللَّهُ عَنْكُمْ  
بِقُدرَتِهِ.

فَدَأَحْاطَ اللَّهُ بِهَا : ضَمَّنَهَا لَكُمْ بِقُدرَتِهِ، وَحَفَظَهَا عَلَيْكُمْ.

لولوا الأدبار : لفروا عند اللقاء ،  
سنة الله : طريقة الله وعاداته في خلقه أن ينصر رسالته  
وأولياءه .

حلت من قبل : مضت في الأمم السابقة .

اعلام أصحاب البيعة برضوان اقه :

أعلم الله عباده المؤمنين أصحاب بيعة الرضوان برضاه  
عنهم ، وبشرهم بأنهم أسعد أهل الأرض بهذا الرضا ،  
ووعدهم كذلك بنصر قريب ، وغنمائهم كثيرة يغنمونها ، وذلك  
لأن الله عالم ما في قلوبهم من صدق الإيمان ، والوفاء بالعهد .

وقد روى ابن أبي حاتم عن إبراهيم بن سلمة عن أبيه قال :  
يَسْتَأْنِحُنَا نَحْنُ قَاتِلُونَ إِذْ نَادَى مَنَادِي رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ : «أَيُّهَا النَّاسُ، الْبَيْعَةُ الْبَيْعَةُ، نَزَّلَ رُوحُ الْقَدْسِ» يعني  
جبريل . قال سلمة :

فَرَنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ تَحْتَ  
شَجَرَةِ سَمْرَةَ، فَبَأْيَعْتَاهُ، فَهَذِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى :

«إِنَّمَا تَنْهَاكُنَا اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَأْبَيُونَكُمْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ» ⑮

قال : قباع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِاحْدَى يَدِيهِ عَلَى  
الْأَخْرَى . فقال الناس : هَذِهِ لَابْنِ عَقْلٍ يَطْوُفُ بِالْبَيْتِ وَنَحْنُ  
هُنَّا . فقال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «لَوْ مَكَثَ كَذَا  
وَكَذَا سَنَةً مَا طَافَ حَتَّى أَطْوَفَ» .

## نواشر الاخلاص في البيعة وصدق العزم والوفاء

لقد كان المسلمون أصحاب بيعة الرضوان صادقين النية، والعزم على ألا يغروا، فقد باتوا على الموت، فعلم الله ما في قلوبهم من الصدق في البيعة، والحمبة للدين، وطاعة الرسول، فأنزل السكينة عليهم وثبتهم، وبهلا قلوبهم أثنا وهدوا وراحة، وأثابهم فتحا قريبا، هو فتح خيبر، واحتضنهم بعفانها الكثيرة، وهذا كله من فضل الله عليهم، فالله هو القادر على كل شيء، العزيز الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، الحكيم في صنعه وتدبره.

بشرى يسوقها الله للمؤمنين :

ثم يخاطب الله المؤمنين، ويذكر سبحانه وتعده لهم بالغثائم الكثيرة في قابل الأيام حتى يوم القيمة، ويخبرهم بأنه عجل لهم من تلك الغثائم صلح الحديبية، وذلك لما ترتب عليه من الخير العظيم للإسلام والمسلمين، أو عجل لهم غثائم خيبر، فهي أقرب مما أصابوه من غثائم الحديبية بقليل.

وقد جعل الله نتيجة الحديبية، وحاجتكم من أيدي أعدائكم من قريش أو يهود خيبر - آية من آياته على نصرته للمؤمنين، ودفعه عنهم، كما أفاص عليهم من رحمة وزادهم من فضله إيماناً مع إيمانهم، وهداية إلى الصراط المستقيم، فيجمع لهم

بذلك بين خيري الدنيا والآخرة . ثم يشر لهم بعذمة أخرى لم يكن المؤمنون بقادرين عليها ، ولكن الله قد أحاط بها ، وریسرها لهم بعد ذلك بعامين ، الا وهي فتح مكة ، وقد كانت عقبة في سهل نشر الدعوة ، وسلاماً مشرعأً في وجه (محمد) وأتباعه ، فحكم أغار أهلها على المسلمين بالمدينة ، وصلوهم عن المسجد الحرام عام الحديبية ، ثم نقضوا عهدهم مع رسول الله . فهذا هي تلك نفتح أبوابها عام الفتح في السنة الثامنة للهجرة أمام جيوش المسلمين بلا قتال تقريراً .

لو قاتلوكم الكفار هزموا :

ثم بين سبحانه أن كفار مكة لا ناصر لهم من دون الله ، وهم ضعفاء ؛ لأنهم مشركون . والمؤمنون أقواء بربهم . وأن الصلح في الحديبية كان لحكمة يريدها الله تعالى ، ولو قدر الله فنالا بين المسلمين وكفار مكة قبل صلح الحديبية لفسر المشركون مهزومين ، ولن يجدوا ولباً ولا نصيراً . وهذه سنة الله الماضية ، وطريقته التي أجرتها في الأمم السابقة ، ولن تجد لسنة الله تبدلًا ، فيما أحرى المسلمين وقد وثقوا بأن نصرهم وهزيمة أعدائهم سنة من سنن الله الماضية ، ما كان لها أن تختلف إلا إذا تخلفوا عن الطاعة ، أو قعدوا عن تنفيذ أوامر الله ، أو اتكلوا على شرق أو غرب ، ونسوا الله . ما أحرراهم أن يجعلوا أنفسهم دائماً من حزب الله ؛ لتعلل لهم الغلبة .

من الآية رقم (٢٤) إلى الآية رقم (٢٦) من سورة الفتح

وَهُوَ الَّذِي كَفَ أَيْدِيهِمْ عَنْكَ وَأَيْدِيكُرَ  
عَنْهُمْ يَسْطِينُ مَكَةَ مِنْ تَحْتِهِ إِنَّ الظَّفَرَ كَمَا عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ  
عَلَىٰ تَعْلُمُونَ يَعْصِرُا ② هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَوْكُرَ  
عَنِ التَّسْجِيدِ الْحَرَامُ وَالَّذِي مُعْكَرُفًا أَنْ يَجْلِعَ عَلَيْهِ  
وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٍ لَرَأَيْنَاهُمْ أَنْ  
تَعْقِرُهُمْ فَيُصِيبُكُمْ بِمِنْهُمْ هُمْ يَغْبَرُ عَلَيْهِ لِيَدْخُلَ اللَّهُ  
فِي رَحْتِهِ مِنْ نِسَاءٍ لَوْزَرِبُلُوا لِعَذَابِنَا الَّذِينَ كَفَرُوا  
مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ③ إِذْ جَعَلَ اللَّهُمَّ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمْ  
الْحَمِيمَةَ حَيْثَ الْحَمِيمَةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ مُكَبِّنَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ  
وَعَلَىٰ الْعَوْمَيْنِ وَالزَّمَهْمِ كَلِمةَ النَّفْرَىٰ وَكَانُوا أَحْقَنِهَا  
وَاهْلِهَا وَكَانَ اللَّهُ يُكْلِمُ شَفَقَهُمْ وَعَلِيهِمَا ④

## معان الكلمات والجمل :

كُفْ أَيْدِيهِمْ عَنْكُمْ : مُنْعِهِمْ مِنْ قَاتَلَكُمْ ، وَمُنْعِكُمْ مِنْ قَاتَاهُمْ ،  
وَأَيْدِيكُمْ عَنْهُمْ فَتَحَاجُّنُهُمَا دُونَ حَرْبٍ .

بسط مكة بالحدائق القرية من البلد الحرام .  
أظفركم عليهم أخذتكم أسرى .

هم الذين كفروا : هم كفار قريش ، وهم الكفار حقا .  
وصدّوك عن دخول المسجد الحرام : ومنعكم من دخول المسجد الحرام  
المسجد الحرام : معتمرین مع أنتم اهله واحق به .  
واهلي : ومنعوا اخدي الذي يهدى للبيت الحرام  
لإطعام فقراء الحرم .

معكوفاً أن يبلغ : حبيساً عن بلوغ مكانه الذي يُذْبَح فيه .

لـ نـ عـلـمـوـهـمـ  
أـنـ تـعـلـمـهـمـ  
لـ تـعـرـفـهـمـ بـأـشـخـاصـهـمـ  
أـنـ تـقـتـلـهـمـ دـوـنـ مـعـرـفـةـ بـأـهـمـ  
مـوـضـيـوـنـ

فسيكتم مفهم : فيالكم بقتلهم إثم وعيب وذمات دون  
معرة بغرن علم . فصل هنكم .

لـ تـ زـ يـ لـ وـ اـ لـ حـ مـ يـ سـ كـ بـ ةـ : لـ وـ تـ مـ يـ رـ وـ اـ مـ منـ الـ كـ فـ اـرـ الـ دـيـنـ يـ خـالـطـ وـهـمـ .  
الـ حـمـيـةـ : الـ اـنـفـةـ الـ كـاذـبـ وـ الـ كـبـرـيـاءـ بـ الـ باـطـلـ .  
سـ كـ بـ ةـ : الـ طـمـانـيـةـ وـ الـ رـاحـةـ وـ الـ هـدـوـءـ .

والزهم كلمة : وثبتهم على التقوى وهي كلمة التوحيد .  
 التقوى  
 وكانوا أحق بها : و كانوا أحق بكلمة التوحيد وأهلها  
 وأهلها المستحقين لها .

امتنان الله على المؤمنين في الحديبية بالظفر دون حرب : أراد جماعة من كفار مكة أن يغدروا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصحابته ، ويأخذوهم على غرّة ، ولكن الله كشفهم ، ورد كيدهم في نورهم . ويوضح ذلك ما رواه الإمام أحمد عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : « لما كان يوم الحديبية هبط على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ثمانون رجلاً من أهل مكة بالسلاح من جهة جبل التنعيم ، يرميرون غرّة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ، فدعى عليهم ، فأخذوا ، فعفا عنهم ، وزلت هذه الآية الكريمة : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَ أَيْدِيهِمْ عَنْكَرٍ وَأَيْدِيْكُرٍ عَنْهُمْ يَسْعَنُ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ ⑪ » .

وهذه منة من الله تعالى على عباده المؤمنين ، حين كف أيدي الكفار عنهم يوم الحديبية ، فلم يتعرضوا لأي سوء أو مكره . وكف أيدي المؤمنين عن الكفار فلم يلجئوا إلى القتل عند المسجد الحرام ، بل عفا عنهم رسول الله بعد أن تمكّن منهم ،

وأظفروه الله عليهم بالأسر . وما تم كل هذا إلا بخشونة الله  
ولإرادته ، وهو سبحانه لا يريد لعباده المؤمنين إلا ما فيه خيرهم ،  
وهو وحده الذي يعلم مواطن الخير ، وهو بصير بأحوال عباده ما  
ظهر منها وما خفي ، فباقى تقديره وتلديره عن علم وعن بصر .

### كفار مكة في ميزان الله وتقديره :

هؤلاء هم الكفار حقًا ، الذين رضعوا لبان الكفر ، وتأصل  
فيهم الحجود ، أشد الناس بعضاً إلى الله تعالى ، فهو لا يحب  
الكافرين .

فهم يكفرهم الشديد ، وحصدتهم عن سبيل الله ، ومنعهم  
المسلمين من دخول المسجد الحرام لأداء مناسك العمرة عام  
الحادية ، وحبسهم الذي عن الوصول إلى الحرم - وكان  
سبعين بدنة - كل ذلك أوجب عليهم غضب الله ومقته : لأنها  
ذنوب تعد من الكبائر في الجاهلية والإسلام . ولو لا أن في مكة  
رجالاً ونساء من المسلمين المستضعفين الذين لم يتمكنوا من  
المigration إلى المدينة ، ولا يعرفهم المسلمون بدواويمهم - لأذن الله  
لرسوله - صلى الله عليه وسلم - بدخول مكة حرثنا ، ولنصره  
عليهم ، ولكن الله لم يأذن بذلك لما سرتبت عليه من قتل كثير  
من المسلمين المقيمين في مكة ، غير المعروفين للمسلمين ،  
ولا أصحاب المسلمين يقتلهم عارٌ واثمٌ وذيات ، ولتحدث الناس

أن محمدًا يقتلي أ أصحابه، ولعل من الحكمة أيضًا ما يعلم الله  
سره من أن بعض هؤلاء الكفار وقد كتب الله لهم أهدايا  
والإيمان والدخول في رحمة الله. ولو حدث التمايز والتفريق  
لعدب الله الكفار أشد العذاب.

ثم بين سحاته أن قلوب كفار مكة قد امتلاط بالكربلاء  
والأنفة وحبة الجاهلية، فردو الحق الواضح الصريح،  
وانتهكوا حرمات البيت الحرام، ومعنوا الهدي أن يبلغ عمله.  
وهذا عملٌ مخالف لكل الشرائع والمعتقدات، ولكنهم يصرُّون  
عليه تكراً، حتى لا يقال: إن محمدًا وصحبه قد اقتحموا  
عليهم مكة ودخلوها بالقوة. كما تحلت هذه الحمية الجاهلية في  
موقف (سهيل بن عمرو) الذي تولى عن قريش عقد الصلح  
مع رسول الله - صل الله عليه وسلم - فقد أبا أن يُسجل في  
كتاب الصلح (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) وامتنع عن قبول الكلمة  
(محمد رسول الله).

أما المؤمنون فقد حفظهم الله من هذه الجاهلية، وألقى  
السکينة في قلوبهم وألزمهم كلمة التقوى، وهي كلمة (لا إله  
إلا الله) وما يتفرع عنها من صالح الأعمال، وقد أنعم الله  
عليهم بذلك النعمة، لأنهم أهلها، وجديرون بها دون  
الكافرين المتكبرين، فإلهه تعالى عليهم بكل شيء، خبير عن هو  
أهل للفضل والتكريم.

من الآية رقم (٢٧) إلى الآية رقم (٢٩) آخر سورة الفتح

لقد صدق الله

سورة الْأَيَّاتِ يَخْتَلِفُ الْمُدْخَلُونُ الْمُتَجَدِّدُ الْحَرَامُ إِنْ شَاءَ  
 اللَّهُ مَا أَمْرَى بِهِ مُحْلِقِينَ وَمَا وَسَكَ وَمَنْهُرٌ إِنْ لَا تَخَافُونَ  
 فَعِلْمٌ عَلَيْهِ تَعْلَمُوا يَخْعُلُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَحًا قَرِيبًا ②٦  
 هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ رَبِّهِ مُصَدِّقًا وَدُونَ أَخْتَلِ الْعَصَمِرُو عَلَى  
 الْأَدْرِيْنَ كَلِمَةً وَكَلِمَةً يَا اللَّهُ شَهِيدًا ②٧ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ  
 وَالَّذِينَ مُعَذِّبُ الشَّدَّادُمُعَذِّبُ الْكُفَّارِ رَحْمَةً يَتَبَشَّرُمُ تَرْهِيمَ  
 رَكِعًا بِحَدَّا يَتَعَلَّمُونَ فَهَلَا مِنْ أَنْتَهُ وَرِضْوَانًا يَبْهَاهُمْ  
 فِي وَجْهِهِمْ مِنْ أَثْرِ الْحُودِ ذَلِكَ مِنْهُمْ فِي الْقُوْرَةِ  
 وَمِنْهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَمَرْجَعٍ اخْرَجَ شَفَاعَهُ فَلَازَرَهُ  
 فَلَامَتْهُ أَظَافَ قَاسِتَوْنَ عَلَى سُوقِهِ يَعْجَبُ الْمُرَاجِعُ لِيَغْيِطُ  
 بِهِمُ الْكُفَّارُ وَعَدَ اللَّهُ أَنَّهُمْ قَاتَلُوا وَعَمِلُوا الْمُصَلِّحَاتِ  
 مِنْهُمْ مُغْفِرَةٌ وَالْأَخْرَى عَظِيمَةٌ ②٨

## معان الكلمات والجمل :

بالحق : بالصدق ، غهي رؤيا صادقة محققة .

مخلقين رءوسكم : منكم المزيلون لجميع شعر الرأس ،  
ومنكم من يقص شعره ، فيقص بعضه ،  
ويترك بعضه .

فعلم ما لم تعلموا : فعلم سحاته ما يكمن في هذا الصلح  
من خير أنت لا تعلمهونه .

فجعل من دون ذلك فتحا قريبا : عجل لكم قبل فتح مكة بفتح آخر هو  
(صلح الحديبية) أو (فتح خير) .

بالمُهَدِّى ودين الحق : باحدایة الكاملة الشاملة وبدین الإسلام  
دين الحق والتَّوْحِيد .

ليظهره على الدين كله : ليُعليه فوق كل الأديان السابقة .  
وكفى بالله شهيدا : كفى بالله شاهدا على أن محمدا رسوله ،  
وأن دينه أعظم الأديان .

تراهم ركعا سجدا : تراهم راكعين ساجدين من كثرة العبادة  
والصلة .

يتغدون فضلا من الله ورضاوانه : يطلبون بعبادتهم رحمة الله ورضوانه  
وحياته .

سياهم في وجوههم : علامات التقوى تظهر في وجوههم نورا  
وخشوعا ووفقا .

مثلهم في التوراة : وضفُّهم في التوراة .  
 كزروع أخرج شطاء : أخرج فرعون فقوري وأشتد .  
 فازره فاستعظ : فقواء حتى صار غلبيطا .  
 فاستوى على سوقه : فاستقام على أصوله وسيقانه .

### تحقق رؤيا رسول الله :

كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد رأى في منامه أنه دخل المسجد الحرام هو وأصحابه، وظافروا بالبيت، ثم حلق بعضهم، وقصر آخرون، فحدث بها أصحابه، ففرحوا واستبشروا. فلما حرج إلى الحديبية مع أصحابه، وصله المشركون عن دخول مكة، ووقع ما وقع من قضية الصلح - ارتاب المتفقون، وقالوا:

«والله ما حلقتنا ولا قصرنا ولا رأينا البيت، فلَمْ يَرُوْهَا الرُّؤْيَا يَأْتِي لِلْدُخُولِ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ شَاءَ»

الآمين (٤)

وميشة الله مطلقة غير مقيدة بوقت معين، إذ لم تحدد هم الرؤيا دخول مكة في هذا العام بالذات. فكانت هذه بشارة للمؤمنين بتحقيق الرؤيا المذكورة حتى شاء الله ذلك، وقد تم ذلك بعد عام من الحديبية، فدخلوا البيت الحرام آمنين علقيين

رؤوسهم ومقصرين ، حيث كانت عمرة القضاة . ثم ثُمَّت بصورة أعظم بعد عامين من صلح الحديبية ، حيث كان فتح مكة .

وقد بين سبحانه حكمه عدم تحقق الرؤيا عام الحديبية بأنه علم ما لم يعلم المسلمون من الخبر الكثير في الصلح ، والرجوع إلى المدينة دون أداء العمرة . وهذا الخبر الذي تحقق كان الفتح ، والتصر العظيم ، والغناائم الكثيرة التي سيعتمدُونها بإذن الله .

وعد الله باظهار الإسلام على الدين كله :  
ثم كانت أعظم البشريات ، وخير الوعود ، إذ بين سبحانه للMuslimين أنه لم يرسل رسوله بالهدى والإسلام دين الحق لا ليظهره على الدين كله ، ونعليه على جميع الأديان ؛ فهو الدين الخاتم الذي ارتضاه الله للبشرية كافة » ومن ياتيكم غير الإسلام <sup>فلا يقبل منه وهو في الآخرة من الخسيس</sup> (١٦) فأشروا إليها المسلمين . فكفى بالله شاهداً على صدق رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - وعلى أن دينكم هو الدين الواحد القادر على القيادة ، وإصلاح أمر البلاد والعباد إلى يوم الدين ، ولا يزال بفضل الله ظاهراً على الدين كله على الرغم من ضعف

(١٦) سورة آل عمران الآية ٢٠

أهلها، وانحسار ملأه ونفوذه. ولا يزال بقوته الذاتية يفرض وجوده على الدنيا كلها، ويخشى من تأثيره في أهل الشرق والغرب.

### صفة رسول الله والمؤمنين :

ما محمد إلا رسول، فهو رسول الله حقاً، بل خير الرسل قاطبة؛ لأنَّه خاتم الرسل والأنبياء، ورسالته عامة لجميع الإنس والجنس، فهو - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أرسل رحمة للعالمين، وكان الرسول يبعث في قومه خاصة، ويُبعث - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى الناس كافة، ومعجزات الرسول قد زالت، ولكن معجزة (محمد) خالدة باقية، تقيم الحجوة على الناس إلى يوم الدين.

أما أصحابه فلهم سماتٌ أصليةٌ عزيزةٌ، وعلاماتٌ بارزةٌ. فيهم أشداء على الكفار، رحماء بينهم، مع اجتهدتهم في طاعة الله وعبادته التي تمثل في كثرة ركوعهم وسجودهم ليل نهار، حتى لكانها صفة ملائمة لهم، لا تراهم إلا كذلك طلباً لرضوان الله، وطمئناً في رحنته، وقد أشرق نور الإيمان والصلاح والتقوى في وجوههم من أثر السجود، وهو أعظم صور الخشوع والعبودية لله، وهذا وصفهم في التوراة، قد سجله الله لهم، وبشر به في الدنيا قبل مجيئهم. أما وصفهم في الإنجيل

الذى يشربهم فمثلكم فيه كمثل زرع قوى نام ، أخرج فروعه  
ففسرته حتى صار غليظاً مغليلاً ، الساق مستقيماً سوياً على  
أصوله ، لا انحناء فيه ولا عوج .

وقد أصبح بصفاته تلك يُعجب الزَّرَاعُ ، ويشرح الصدور .  
كما أنه يسبِّب للكفار غيظاً واكتئاباً .

قال الصحاح : « هذا مثل في خاتمة البيان » ، قال زَرَاعُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والشَّطَةُ أَصْحَابُهُ كَانُوا قَلِيلًا فَكَثُرُوا ، وَضَعْفَاهُ  
فَقُوُّوا » .

وقال القرطبي : « هذا مثل ضربه الله تعالى لأصحاب  
النبي - صلى الله عليه وسلم - يعني أنهم يكونون قلة ثم  
يزدادون ويكثرون » .

ثم ختم سبحانه السورة بوعده منه لعباده المؤمنين الذين  
يعملون الصالحات بأن لهم عنده المغفرة والأجر العظيم .  
فقال الله أن يجعلنا منهم ويدخلنا برحمته في عباده الصالحين .

## سورة الحجرات

تمهيد :

هي أول سور القصار في القرآن الكريم، وقد تضمنت كثيراً من الآداب، التي هبّت للأمة الإسلامية مكان الصدارة، وعالجت كثيراً من العيوب في حياة الناس، فما زلت تفعّل بال المسلمين إلى أفاق عالية، بعد أن كانوا في حضيض من الفوضى والخلاف.

هدأت السورة ما يلغي للرسول - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من التوقيف والإجلال، وأدب التعامل معه، والتحدث إليه، وحثت على الضبط والتثبت في الأحكام قبل إصدارها، وكشفت عن الصواب في الحكم بين المتنازعين، والطريق الصائب للتوفيق بين المخاصصين.

وقدرت هذَا الأخوة بين المؤمنين، وحثت على الاحترام المتبادل بين الناس، والعفة في العلاقات والأعمال والأقوال، ورعاية حقوق الآخرين وسيرتهم، حضروا أو غابوا، مع تقييم الخروج عن هذا السلوك، وبيان بشاعته.

كذلك وضعَت الأسس الواضحَة للمساواة بين الناس،

وكشفت عن العوامل التي يمكن أن يتفاصل الناس على أساسها، وهي بعيدة عن الجنس واللون، والجاه والثروة، وبيت أن التفاصيل عند الله إنما هو بالتفوي.

وكشفت للناس أن الإيمان لا يكون إيماناً إلا بالفعل، وليس بالقول، وأن الناس لا فضل لهم إذا آمنوا، وإنما الفضل في ذلك لله وحده، إذ هداهم للإيمان، ووفقهم إلى الهدى، وذلك هو وحده موضع المن، الذي يستوجب الشكر لله سبحانه وتعالى.

\* \* \*

من الآية رقم (١) إلى الآية رقم (٥) من سورة الحجرات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدِيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ  
 وَلَا تَقْرُبُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ عَلَيْمٌ ① يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا  
 لَا تَرْفَعُوا أصواتُكُمْ فَوْقَ صوتِ النَّبِيِّ وَلَا تُجْهِرُوا رَأْيَهُ  
 بِالْقَوْلِ بِخَيْرٍ يَعْصِكُ لِبِعْضٍ أَنْ تَعْبُطْ أَعْمَالَكُمْ وَالَّتِي  
 لَا تَشْعُرُونَ ② إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُبُونَ أصواتُهُمْ عِنْدَ رَسُولِ  
 اللَّهِ أَوْ كَثِيرَ الَّذِينَ آمَنُوا هُنَّ اللَّهُ فِلْوَاهُمْ لِلتَّقْوَىٰ هُمْ  
 مَقْفَرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ③ إِنَّ الَّذِينَ يَنْادِيُوكُمْ مِنْ وَرَاءِ  
 الْحَجَرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ④ وَلَوْلَا أَنَّهُمْ صَابِرُونَ حَتَّىٰ  
 يَخْرُجُوا إِلَيْهِمْ لَكُلُّ أَخْيَرٍ لَهُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ⑤

معان الكلمات والجمل :

لا تقدموا بين يدي : لاتشيروا على الرسول - صل الله عليه  
الله ورسوله وسلام - في أمر قطع فيه برني .  
لا تكلموه بصوت مرتفع، ولا تخاطبوه بها  
يخاطب به بعضكم بعضاً .

أن تحبط أعمالكم : لكيلا تصفع أعمالكم ، ويُبطل ثوابها .  
يغضبون أصواتهم : يغضبونها .  
امتحن الله قلوبهم : اختبرها فاخلصها للتقوى وصفاها من  
لتقوى القائمة .

الحجارات : جمع حجرة ، وهي مساكن الرسول -  
صل الله عليه وسلم - التي يعيش فيها  
مع زوجاته .

وجوب إجلال الرسول ونوره :  
الرسول - صل الله عليه وسلم - بشر ، ولكن تغير عن بقية  
البشر باختيار الله له ، وتكرمه بحمل الرسالة ، واحتضانه  
تحمل أمانة الوحي ، وإبلاغها للناس أجمعين .

لذلك كان ينبغي على جميع من يتعامل معه - صل الله عليه  
وسلم - أو يلتقي به ، أو يخاطب معه ، أن يعرف قدره ، وعلمه  
مكانته ، فيكون له معه في التعامل والحديث أسلوب آخر ، غير  
الذي يتعامل به مع من يماثله من الناس .

فليا لم يفعل بعض الناس ذلك، فكان بعضهم إذا سار مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - يتقدم عليه ويسقه، فيمشي أمام الرسول والرسول خلفه، وكذلك كان إذا جاءه أحد يسأل في أمر من الأمور سارع بعض الحاضرين بالإجابة قبل أن يحيط الرسول، وتقدم بالقول، وكأنه هو المسؤول، وأيدى رأيا من قبل أن يفصل الرسول في الأمر، وبجسم المسألة.

ما كان ذلك يحدث من بعض من يحيط بالرسول - صلى الله عليه وسلم - من المؤمنين، أتزل الله وحده، وجاءت آياته تبين للناس كيف يجب أن يكون حاكمهم وفهم مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - في تحديد من الأحوال.

### التقدم بالقول وال فعل

أما الحال الأولى فلا ينفي المؤمن أن يسوق الرسول - صلى الله عليه وسلم - في المishi ولا في القول ولا في العمل.

وإذا مشوا معه فلا ينفي لأحد أن يتقدم عليه إلا إذا أدن له، وسمح له بذلك. أما إذا لم يأدن فلا بد أن يكون وحده في المقدمة، والجميع من ورائه؛ لأن الرسول والقدوة، بحسب المقرب من الله سبحانه وتعالى.

وكذلك لا ينفيه بالرأي إذا سئل؛ لأنه المعلم، ولأنه يتلقى الوحي عن ربها في كل شأن من الشؤون، فلا ينفي أن

يكون لأحد رأي غير رأيه، ولا قول قبل قوله .  
وأيضا لا يسبقونه في فعل من الأفعال منها يمكن صعيرا؛ لأن ذلك ليس من الأدب الذي ينبغي أن يكون من أهل الإيمان لرسولهم المصطفى ، وكثيرهم الذي خصه الله بالفضل ، وفضله على العالمين .

وإذا فعل الناس ذلك مع رسولهم ، وراقبوا أعمالهم حتى لا يقعوا فيها بغضب الله ، واستجابوا للهذية تعالى ، واتبعوا أوامره ، كانوا من المتقين ، وتحقق لهم من وراء ذلك التمتع بنعيم الله ورضاه؛ لأن فعلهم هذا لا يخفى عليه ، فهو سميع لقوتهم ، علیم بقلوبهم وأفعالهم .

### رفع الصوت وأثره

أما الحال الثانية فهو رفع الصوت في وجود النبي - صل الله عليه وسلم - حتى يكاد يضيع صوته - صل الله عليه وسلم - وسط الأصوات ، فلا يستثنى الناس قوله ، ولا يسمعون ما يقول به .

يفعلون ذلك في مجلسه إذا حاصل بعضهم بعضا ، وأكثر من ذلك أنهم إذا تكلموا مع الرسول - صل الله عليه وسلم - كان حديثهم معه ك الحديث بعضهم مع بعض ، فبيّنت الآية ما يتبعها عليهم من إكبار لمقامه ، وإعلاه لتراته ، ومعرفة لقدرته ، بوجوب

خفض الصوت عنده، والا يكون حديثهم معه كما يتحدثون فيما بينهم؛ لأن هذه الطريقة غير لائقة، وخارجية عن الحدود التي يجب مراعاتها من كل من يصاحب الرسول، ويتحدث معه. وهي أيضاً طريقاً إلى ضياع ثواب الأعمال، وسبب في سخط الله - سبحانه وتعالى - على من يفعل ذلك، حتى وهو لا يقصد الإساءة. فليحذر المؤمنون الوقوع في هذا المزلق خطيرة أن تحيط أنعماهم وهم لا يشعرون.

ولم يكن كل من يصاحب الرسول - صلى الله عليه وسلم - يفعل ذلك، وإنما كان هناك من يوقد الرسول، ويعرف حقه، فلا يرفع الصوت عنده، ولا يخاطبه كما يخاطب غيره؛ ولذلك لم ترك الآية هؤلاء الذين يتادبون في حضرة النبي - صلى الله عليه وسلم - فيخفضون أصواتهم، بل مدحتم بـأن قلوبهم طهرواها الله، فاز دانت بالتقوى، وامتلأت بالطاعة، فاستحقوا مغفرة الذنوب، وعظيم ثواب الله في الدنيا والآخرة.

وفد بنى تميم (باب النزول) :

أما الحال الثالثة فقد كانت على النحو التالي :

في السنة التاسعة من الهجرة جاء وقد من بنى تميم إلى المدينة للشفاعة في بعض الأساري، فدخلوا المسجد، وكان الوقت وقت قيلولة وراحة، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - نائم في بيت إحدى زوجاته،

وأخذوا ينادونه من وراء الحجرات ، ويطلبون حروجه  
إليهم ، دون رعاية ل الوقت ، ولا إشار للذوق في أسلوب النداء  
وطريقته ، فآذى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعلمهم  
لتنافيه مع الأدب الواجب مراعاته ، وقد بنت الآيات أن  
التصرف الذي تصرفوه كان غير سليم ، وكان حالياً من الذوق  
والأدب والتعقل ، وبما أن هذا التصرف لم يكن من الجميع لم  
تشمل الآية كل من حضروا ، وإنما بنت آية أكثرهم هم الذين  
يستحقون هذا الدم والتقد .

ولما كان من المعلوم أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - هو  
الذي يوم المسلمين في الصلاة ، ويجلس لتعليمهم وتدبر  
شئونهم ، فلم يكن يغيب عن مجلسهم إلا قليلاً ، حيث يأخذ  
قسطاً من الراحة ، أو يجلس مع أهله ، فلو استظر هؤلاء الذين  
أدوه وأزعجه ، وصروا بعض الوقت ، خرج إليهم من غير  
آن تآذى نفسه ، أو يقعوا بهم في خطأ أو تصرف غير محمود ،  
ولكان ذلك التزت حيراً لهم في دينهم ودنياهם .

ولأن الله - سبحانه وتعالى - يرشد الناس إلى الأدب  
والكمال ، ويهديهم إلى الخير في كل شأن من الشؤون ، فهو واسع  
المغفرة والرحمة لمن يقع في خطأ بجهل وعن غير قصد . لذلك  
فقد فتح الله تعالى لهؤلاء أبواب الرجوع والتدم والتوبة عن هذا  
الخطأ ، وغفر لهم ما وقعوا فيه لعلمه بعزمهم على عدم العودة

إليه أبداً بعد أن عرّفوا كراهية الله - سبحانه وتعالى - له .

موقف الصحابة من هذه الآيات :

بعد أن نزلت هذه الآيات، ندم من كان يفعل ذلك ندماً شديداً، وما عاد أحد منهم يبدى رأياً، أو يقترح أمراً، إلا بعد أن يأذن له الرسول - صلى الله عليه وسلم .

وما عاد أحد يتقدم على الرسول - صلى الله عليه وسلم - في شيء ولا فعل ، وكانتوا إذا تحدثوا مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - خفضوا أصواتهم حتى لا تكاد تسمع ، وكان بعضهم يرجف إذا سمع الرسول كلامه من أول مرة ، خشية أن يكون قد رفع صوته .

ولقد كان عمرو - رضي الله عنه - إذا تكلم بعد نزول هذه الآيات مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يكون كلامه همساً، حتى لقد كان الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - يستفهم منه: ماذا يريد أن يقول .

\* \* \*

## الآيات من (٦) إلى (٨) من سورة الحجرات

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ يُنَبِّئُونَ  
 تُصْبِحُوا قَوْمًا يَجْهَلُهُ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَذِيرًا ⑥  
 وَأَعْلَمُوا أَنْ فِي كُلِّ رَسُولِ اللَّهِ لُورٌ يُطْبَعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنْ  
 الْأَمْرِ لَعْنَتُمْ وَلَكُنْ اللَّهُ حَبَّ إِلَيْكُمُ الْأَبْعَثَنَ وَرَزِّيْهِ  
 فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرُ وَالْفُسُوقُ وَالْعُصْبَانَ  
 أَوْ لَتَهْكِنَ هُمُ الْأَبْشُدُونَ ⑦ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَيَعْلَمُ  
 وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ⑧

- معاني الكلمات والجمل :
- فاسق : خارج عن الطاعة لا يستبعد منه الكذب.
- نبأ : خبر منهم.
- تبينوا : ثبتوها وتأكدوا.
- أن تصيبوا قوماً : خشية أن تعرضاً لآناس بخطأ وظلم.
- بحجهلة عنتكم وهلكتهم .
- وزينه في قلوبكم : حسنة وكشف لكم سر جماله وفضله.

الفوق : المخرج عن الطاعة .  
الراشدون : الموفون للحق والطريق المستقيم .  
كيف نتلقى الأخبار ؟

من الأخطاء الشائعة في حياة الناس أن يصدقوا كل خبر يسمعونه ، ثم يكون تصرفهم على أساس تصديق ما سمعوا ، وقد يكون ما سمعوه ليس صحيحاً ، فيسيئون إلى الناس ظلماً ، ثم يتبرأون لهم بعد ذلك كذب ما سمعوا ، ولا ينفع حينها اعتذارهم بعد ما ظلموا وأساءوا .

لذلك هدى الله - سبحانه وتعالى - أهل الإيمان إلى ما يجب عليهم أن يفعلوه إذا سمعوا خبراً من الأخبار ، فما يجب عليهم فعله ، هو النظر إلى ساقل الخبر ، والتثبت من أخلاقه وسلوكه ، وهل عرف عنه الصدق أو الشهادة ، أو هو من عرف عنه غير ذلك مما يجعله غير ثقة ولا مؤمن . فالآفراد في المجتمع المسلم موضع الثقة والتصديق ، أما إذا اشتهر أحدهم بالفسق فقد أصبح مقلنة الكذب والاتهام .

هذا الخبر الذي ينقله إليهم من علموا فسقه وعلى أساس ما تبين لهم يكون تصرفهم ، حتى لا يصيروا قوماً بالظلم عن جهل وترشّع فلا تكون العاقبة إلا الندم والواقع في الخطأ .  
سبب نزول هذه الآية

بعث الرسول - حصل الله عليه وسلم - الوليد بن عقبة بن

أبو معبيط، لأخذ الزكاة من بيبي المصطلق، فلما علموا بذلك  
ركبوا وخرجوا لاستقباله، وكانت بيته وبيتهم خلافات، ولم  
يكونوا على ودّ معه. فلما علم بخر وجوه حاف، ورجع إلى  
النبي - صلى الله عليه وسلم - وأخبره بأنهم كادوا يقتلونه لولا  
مسارعته بالعودة.

أرسل النبي - صلى الله عليه وسلم - إليهم حمالد بن الوليد،  
وأمره أن يثبت من الأمر قبل أن يتصرف أي تصرف، فأتاهم  
ليلاً، وبعث طلاقته ليكتشفوا الأمر، فلما جاءوا أخبروا حمالدا  
باستئصال القوم بالإسلام، وأنهم سمعوا أذانهم وصلاتهم.  
وحين أصبح الصبح أتاهم (حفالد) ورأى صدق ما بلغه، فعاد  
إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وأخبره بما رأى وشاهد،  
وكشف الله سر ذلك القاسم، وهدى الناس إلى ما يبغى لهم  
فعلم عندما يصلهم أي حمر عن الأحداث يشيعه بينهم فامض  
منهم لا يتورع عن الكذب.

#### نصيحة وتحذير :

مهمة الرسول - صلى الله عليه وسلم - هي هداية الناس إلى  
الخير، وتحصينهم من الوقوع في الضلال والشر، والله سبحانه وَ  
رسوله بالوحى، ويطلعه على ما يخفى بعض الناس، ويكشف  
له عن كذب الكاذب، وباطل الباطل.

فاعلموا أيها المؤمنون أن فيكم رسول الله يزبدكم بالوحى،

فقدروا هذه النعمة، وأسلموا الله القيادة، ولا تقرروا عليه، فلو أن الرسول - حصل الله عليه وسلم - أطاع الناس في كل أمر من الأمور التي ترضيهم، حتى ولو كانت مخالفة للصواب والحق - لوقعوا في شدة وحرج ولا يبعدوا عن الخير والصلاح.. ولذلك فواجب على المؤمن أن يتبعه، وأن يكونوا بعيدين عن كل ما يغضب الله؛ لأن الله يجر عليهم المصائب والصعاب. فإذا كان يحدث لو أن الرسول نزل على رأي من أشاروا عليه بتعجيل العقوبة لبي المصلطلق؟

وهنا يذكر الله المؤمنين بأنه يقدر لهم الخير، ويعينهم عليه، فقد حب الإيمان إلى نفوسهم، وزينه وحنته حتى دافوا حلاوته، وشرح له قلوبهم، كما يغض إليهم الكفر والباطل والمعصية والخرفج على الحدى، فابتعدوا عنما يغض الله وبخطه، فكانوا بذلك أهل الحكمة والرشد والصلاح.

ولاشك أن الذين يحسّون أنفسهم بطاعة الله، ويعملون على إرضائه، ويبتعدون عن طريق الشيطان وشره ما يلغوا هذه المنزلة إلا بتوفيق الله وهدايته، وعليهم أن يقدروا فضل الله عليهم، وتلك النعمة العظيمة التي اختصهم بها، حتى يظل هذا الفضل، ويتمثّلوا في الدنيا والآخرة بغير نعم الله وعطائه، فهو سبحانه عاليٌ من يستحق التوفيق والهداية، حكيم في كل تصرفاته وتدبره.

## الآياتان (٩) و (١٠) من سورة الحجرات

وَإِنْ كَانَ مِنَ الظَّمِينِ  
 أَفَتَلُوا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى  
 الْأَخْرَى فَقُتِلُوا أَلَّا تَسْعَى حَتَّى تَرْجِعَهُ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ  
 فَآتَتْ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَإِنْ قِطُّوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ  
 الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا الظَّمِينُونَ إِلَّا حِرَةٌ فَاصْلِحُوا بَيْنَ  
 الْخَوَافِرِ وَأَتْقِنُوا اللَّهَ لِعْلَكُمْ تَرْحَمُونَ ۝

معاني الكلمات والجمل :

طائفتان : جماعتان .

بغت : اعتدت واستعملت وظلمت .

تفيء إلى أمر الله : ترجع إلى حكم الله وهداه .

وأقسطوا : واعدلوا ولا تتحيزوا .

المقسطين : العادلين في أحكامهم .

موقف المسلمين من الخلاف :

وحد الإسلام بين الناس ، وقرب بين المتعارضين وجعل  
 الآخرة هي الرباط الذي يربط بين أتباعه بعد أن كانت لا  
 تجمعهم إلا العداوة ، ولا يتلاقون إلا في الحروب ، قال تعالى :

وَأَعْصُمُوا بِحَلِيلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَنْفِرُوا وَإِذْ كُرُوا يَعْتَمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذْ  
كُنْتُمْ أَنْذَلَكُمْ فَالْفَلْقُ بَيْنَ قَلْبِكُمْ لَا يَضِيقُمْ بِنَعْمَتِهِ إِلَّا خَوْفًا

ولذلك كان على المسلم أن يكون داعية إلى الخير دائمًا، وألا  
يسمح بقيام العدوان، ولا يستعمله المعتدى، وأن يعمل -  
حيثما كان - على إعلاء المحبة، ونشر السلام بين المسلمين.  
فإذا اختلف المسلمين وتخاصمت، أو اختلفت جماعاتان من أهل  
الإسلام وتخاصمتا - كان الواجب على المسلمين إلا يقفوا  
منضر حرين، وإنما عليهم أن يصلحوا بكل الوسائل - الحسنى  
المسكنة - بين المتحاصدين المختلفين، فرديين كانوا أو جماعتين،  
دون تحيز أو ميل إلى جانب منها فإن استجابة الدعوة الخير،  
وقلا الصلح، فقد تحقق القصد، وكيفما شر العداء، ومخاطر  
البغضاء، لكن إذا لم يستجيبا فلا بد من التدخل بالقوة لإقرار  
العدل، فإن كانت إحداهما هي الباغية المعدية، التي ترفض  
الصلح، والاستجابة للداعي السلام - فلا بد من الضغط عليها  
بالقوة، حتى ترجع إلى الحق، وتستجيب لأمر الله. فإذا رجعت  
عن عدائها، وقبلت التوقف عن العدوان، فلابد هنا من إقرار  
العدل، وإحقاق الحق، وإزام المعدي تعريض من وقع عليه  
العدوان، وذلك إلى جانب معذاته على عدوائه، حتى لا يقع  
 منه العدوان مرة ثانية، وحتى يجعل الأمان والاستقرار بين

السلمين . ومن الملاحظ أن العدل هنا مطلوب لكلا الجانبيين :  
الباغي ومن يُعَذِّبُ عليه ، لأن الباغي لا يزال في عداد المذميين ،  
ويكفره عن الحروب ، وننزله على حكم الله ، تتحقق دمه .

#### جزاء العدل :

المؤمن التقى هو الذي يستجيب لدعوة الله في الإصلاح بين  
الناس ، ولا يملي عن العدل في حكمه وإصلاحه ، وي فعل ذلك  
برضاة الله سبحانه وتعالى ، وطاعة لأمره ، ورجاء لغير الناس  
وما يصلاحهم . وهذا المؤمن التقى جدير أن يتمتع بحب الله  
سبحانه وتعالى ، وهو الكريم الذي يسطع على من يحبه ظل  
رضاه ورحمته ونعمته في الدنيا والآخرة . ومن كتب على نفسه  
تعالى محبتهم العاذلين من عباده «إن الله يحب المحسنين» .

#### المؤمنون أخوة

يقررون المولى - حمل وعلا - أخوة المؤمنين مؤكدا أنه لا أخوة إلا  
أخوة لهم ، فهي أعز وأقوى من أخوة السب . وهذه الأخوة  
تفتفي أن تكون العلاقة بين المؤمنين قائمة على الحب والمسودة  
والتسامح والتعاون ، فلا ينبغي السكوت على آية ظاهرة تبشر  
بتذور الشقاق والخصام والقتال . وعلى المسلمين المسرعة إلى  
القضاء على أسباب الخلاف «فأصلحوا بين أخويكم» ملتزمين  
العدل متلبسين بتقوى الله تعالى ، حتى لا ندع مجالا للظلم في  
دولة الإسلام ، وحتى تستحق أن يظلان الله برحمته .

يَنْأِيْهَا الَّذِينَ

لَا يَسْخُرُونَ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا  
مِّنْهُمْ وَلَا يَسْأَلُهُمْ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ  
وَلَا تُلْهِرُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَبَرُّوا بِالْأَلْقَابِ يَنْسَأِ  
الْأَسْمَاءُ الْفَوْقَ بَعْدَ الْإِعْتِيَادِ وَمَنْ لَمْ يَقْبِلْ فَأُولَئِكُمْ هُمُ  
الظَّالِمُونَ ⑯ يَنْأِيْهَا الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا أَحْسَبُوهُمْ كَثِيرًا  
مِّنَ الظُّلُمَاءِ إِنَّ بَعْضَ الظُّلُمَاءِ لَغُلَامٌ وَلَا يَجِدُوا وَلَا يَغْتَبُونَ  
بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُّوبُ أَحَدُكُمْ إِنْ يَأْكُلْ لَحْمَ أَحَبِبَهُ وَبَشَّا  
فَتَكَرْهُتُمُوهُ وَأَتَقْرَأُوكُمْ إِنَّ اللَّهَ تَوَابُ رَحِيمٌ ⑰ يَنْأِيْهَا  
النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَرَّةٍ وَإِنَّمَا وَجَعَلْنَاكُمْ شَعُورًا  
وَكَبَابِلَ لِتَعْارِفُوا إِنَّ أَكْمَرَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَكُرُ إِنَّ اللَّهَ

عَلَيْهِ خَيْرٌ ⑱

## معنى الكلمات والجمل :

لَا يسخِّر قومٌ مِنْ : لَا يُسْتَهْزَئُ رِجَالٌ بِرِجَالٍ ، وَلَا  
قَوْمٌ يُخْتَفِرُونَ .

**لا تلمزوا أنفسكم** : لا يعب بعضكم ببعضاً، فمن عاب آخاه  
فقد عاب نفسه.

لا تنازروا بالألقاب : لا يدع بعضكم بعضاً بما يكرهه من  
الألقاب والأوصاف .

**بـشـر الـاسـم** : جـديـر بـالـذـم مـن يـنـادـي وـمـن يـرـضـي لـنـفـسـه  
**الـفـسـقـوق** : أـن يـوـصـف بـالـفـسـقـ.

**بعد الإيمان** : بسب السخرية واللمز  
والتنايز بالألقاب.

الظن  
معناها هنا مخالفة اليقين وأصحاحها،  
ووطن السوء بالناس

**ولا تخسوا : لا تبعوا الأسرار التي يكتنها المسلمون**  
**عنكم :**

لَا يغتب شعوبنا وقبائل : جماعة شعب وقبيلة ، والشعب أصل القبائل ، وكل شعب يضم عدداً من القبائل .

## خرمة السخرية والاستهزاء :

ينهى الله المؤمنين ، ويحذرهم من الوقوع في شر كبير هو السخرية من الناس ، والاستهزاء بهم ، والنظر إلى بعض الصفات الخلقية فيهم وعيها أو التحدث عنها ، ويبين أن هذا السلوك لا يليق بالمؤمنين .

وقد يوجد في بعض الناس ما يتصوره غيرهم عيناً داعياً للتهزءة والسخرية ، وهم في الحقيقة أفضل من الساخرين ، واقرب إلى ربهم ، وأعلى منزلة ومكانة .

وليس الأمر في النهي خاصاً بالفرد وحده ، ولا بالرجل وحده ، وإنما النهي عن السخرية للجميع أفراداً كانوا أو جماعات ، رجالاً كانوا أو نساء .

كذلك ينهاهم الله عن طعن بعضهم على بعض خفيةً بما يكرهون ؛ لأن الذي يطعن أخيه كأنه يطعن نفسه . وينهاهم كذلك أن يلقب بعضهم ببعض بما يكرهه من الألقاب ، أو يناديه أو يطلق عليه ما لا يحبه من الأسماء والصفات ، كان ينادي من ارتكب خطأ ، ثم تاب عنه بصفة ، تدل عليه مثل : يا كاذب ، يا سارق ، يا غاش ، أو ينادي من دخل الإسلام بما كان عليه من دين وُمُعْتَقِدٍ قبل ذلك مثل : يا كافر ، .. يا وثني . ويبين لهم أن من أقبح الأشياء ، وأسوأ الأفعال أن يُذيع

السلب عن الناس ، ويلتصق بهم صفة المفروق بعد إيمانهم  
وصلاحهم أو يرثى لنفسه أن يوصف بالفتنة بعد الإيمان  
بسب السخرية واللعن والتذمّر . ثم يفتحباب التوبة والإفلاع  
عن الواقع في هذا الإثم مرة ثانية لمن أراد الرجوع إلى الله نادما  
على ما صدر عنه من ذنب . أما الذين لا يتوبون فإنهم يظلمون  
أنفسهم . ويستحقون العقوبة الشديدة نتيجة ظلمهم  
وإساءتهم .

#### احتساب الكثير من الظرن :

يعلمـنا الله سبحانه وتعالـي ألا نـسيـ، الـظنـ فيـ كلـ اـمـرـ منـ  
الـأـمـورـ، وـلـاـ كـلـ النـاسـ، وـلـكـنـ يـحـبـ أـنـ يـغـلـبـ عـلـيـنـاـ حـنـ  
الـظنـ بـالـأـشـيـاءـ، وـالـأـشـخـاـصـ مـاـ لـمـ يـكـنـ هـنـاكـ سـبـبـ دـاعـ لـلـدـلـكـ،  
فـالـظنـ السـيـئـ بـالـسـلـمـ يـوـقـعـ صـاحـبـهـ فـيـ الإـثـمـ، وـيـسـوـجـ  
الـعـقـابـ الشـدـيدـ، لـأـنـ فـيـهـ ظـلـمـ، وـلـأـنـ الإـنـسـانـ نـتـيـجـةـ هـذـاـ الـظنـ  
لـأـنـهـ لـاـ يـطـمـئـنـ لـلـتـعـاملـ مـعـهـمـ، وـلـاـ يـشـقـ بـهـمـ.  
لـأـنـهـ لـاـ يـطـمـئـنـ لـلـتـعـاملـ مـعـهـمـ، وـلـاـ يـشـقـ بـهـمـ.

ولـيـسـ معـنـىـ هـذـاـ أـنـ يـحـسـنـ الـظنـ فيـ كـلـ الـأـمـورـ وـمـعـ كـلـ  
الـأـشـخـاـصـ، حـتـىـ وـلـوـ كـانـ الـأـمـرـ يـسـتـدـعـيـ الـحـذـرـ، أـوـ يـكـونـ فيـ  
الـشـخـصـ مـاـ يـبـعدـ الـظـمـانـيـةـ وـالـثـقـةـ. وـإـنـماـ يـكـونـ حـنـ الـظنـ فيـ  
مـوـضـعـهـ، وـيـكـونـ الـحـذـرـ وـالـفـطـنـ وـالـخـيـطـةـ فيـ الـمـوـضـعـ النـاسـ،  
وـلـذـلـكـ كـانـ التـحـدـيدـ فـيـ الـآـيـةـ دـاعـيـاـ لـاـ جـنـبـ أـكـثـرـ الـظنـ وـلـيـسـ

كل الغن، «وَإِنْ بَعْضُ الظُّلُمِ إِذْمًا وَهُوَ مَا جُرِيَ فِيهِ الْمُرْءُ عَلَى  
الْتَّوْهُمْ وَالشُّكُوكِ، دُونَ أَنْ يَعْلَمَهُ يَقِيناً».

### الغهي عن التجسس والغيبة :

كذلك يعلمنا الله تعالى ألا تجسس، وألا تستمع أحوال الناس وأسرارهم التي يخفونها عنا، وألا نحتلس النظر إلى شئونهم، أو تحاول كشف عوراتهم، والوقوف على سوءاتهم؛ لأن الإسلام يচعن الحفاظ على حرمات الناس وحرياتهم، ويصون للجميع كرامتهم التي يجب ألا تخس.

وهذا التجسس الذي ينهانا الله، - سبحانه وتعالى - عنه في قوله «وَلَا تَجْسِدُوا» هو ما يكون بين المسلمين بعضهم مع بعض وهذا لا خير فيه، وإنما هو شر وإساءة. ولا يقبل الإسلام أن تُبرأ التجسس على الناس بحجة كشف الجريمة قبل وقوعها.

أما إذا كان التجسس على الأعداء لمعرفة تدبيرهم ضد المسلمين والإسلام، واستكشاف جوانب الضعف فيهم، مما يعين المسلمين على التصر عليهم فذلك مُرْغَبٌ فيه، لأنه حماية للدين، وفيه قوة للمسلمين، ولأنهم لا يرعون في المسلمين حرمة ولا ذمة، أما المسلم فإنا مطالبون بسترها؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَرَّ مُسْلِمًا سَرَّهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه مسلم

ثم يهانا الله - سبحانه وتعالى - بعد ذلك أشد الفحى عن  
الغيبة، وهي ذكر الناس في غيابهم بما يكرهون، سواء أكان  
الطعن فيهم، أو فيمن يتصل بهم، سواء أكان ما يعاب  
عليهم في شأن من شئون الدنيا أو متعلقاً بشئون الآخرة.  
ويصور من يفعل ذلك في صورة بغيضة مقرفة، إذ يصور من  
تقع عليه الغيبة في صورة الميت؛ لأنه غير حاضر في عالم  
الغيبة، ويصور المعتاب في صورة الوحش الذي يمزق لحم هذا  
الميت، وينشه وياكله. وأقى من ذلك وزيادة في بشاعة  
الصورة يجعل هذا الأكل أحلا للماكول.

من يمكن أن تقع عينه على هذه الصورة ثم لا تفرغ نفسه من بشاعة ما يرى، وهول ما يشاهد؟ إن أي إنسان لا بد أن يكره ما يراه أشد الكره، ونجاته بكل ما وسعه، فإذا كتم تكرهون أكل الميتة بالفطرة والطبع السليم، فاكرهوا الغيبة؛ لذلك يجب المتألب عن الظن والتحسّن والغيبة إذا تم الوقوع فيها، والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى، والترام طاعته، وتقواه، وهو القابل لنوبة التائب، إذا عرف الذنب، وندم عليه، وعزم على عدم الرجوع إليه، وهو الرحيم بعباده التائبين المخلصين.

ولقد صورَ الرسول - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صورة المغتابين كما رأها في معراجِه بقوله: «لَا اغْرِجْ بِي، صَرَّتْ بِقَوْمٍ هُمْ

أظفار من شحاس يخمشون وجوههم وصدورهم ، فقلت :  
 من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ،  
 ويقعون في أعراضهم »<sup>(١)</sup> . ونبه هنا إلى أنه لا يدخل في  
 موضوع الغيبة ذكر من يجاهر بالمعصية ، ويعلن خروجه على  
 طاعة الله من غير حياء ولا خجل ، فإن الحديث عن مثل هذا  
 لا يعتبر غيبة ، ولا يكون حراما ، وكذلك إذا فشت الفاحشة  
 في الأمة ، واجترأ الناس عليها فإن مقاومتها واجبة بكل السبل .

أكرم الخلق عند الله :

ما كان يشبع في حياة الناس أيام الجاهلية افتخارهم  
 بآسائهم وأحسائهم ، وأقدارهم وأموالهم ، وأولادهم وجاههم ،  
 فوضع الله - سبحانه وتعالى - أيام الناس حقيقة لا ينكرها  
 أحد ، ولا تخفي عليه . تلك الحقيقة هي أن الناس جميعا  
 مردّهم في أصلهم إلى ذكر وأنثى ، هما آدم وحواء . فكل ماجد  
 في حياة الناس من جاء وسلطان وأصحاب وأنساب وأموال ، إنما  
 هو طارىء غير أصيل ، وغير باق ولا ثابت ، وهو ينتقل من قوم  
 لقوم ، ومن فرد لفرد ، يقول الله تعالى : « وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَذَّارًا بَيْنَ  
 النَّاسِ »<sup>(٢)</sup> .

ولذلك يجب على الناس أن يرجعوا بتفكيرهم إلى الأصل

<sup>(١)</sup> سورة آل عمران / ١٤٠-١٤١

<sup>(٢)</sup> رؤيا أبو زيد .

الذي تفرعت عنه الخلائق، فكانت الأسر، فالقبائل، فالشعوب التي تملأ جوانب الأرض، ولابد لهم أن الأصل واحد، وأن بني الإنسان جميعاً عند الله سواسية كأسنان المشط، وأنهم كلهم إخوة ميراثهم الله شعوباً وقبائل؛ ليسهل التعارف فيما بينهم، ول يصل بعضهم رحم بعض.

وبهذا قضى الإسلام على تلك الظاهرة الخطيرة التي كانت شائعة يومها حتى إنهم حاولوا تحكيمها في الاختيار للنبوة، وقالوا: «لولا تزيل هذا القرآن على زوجي من أشرارهن عفطم»<sup>(١)</sup> لقد اختار الله لنا ميزاناً آخر للتفاضل والتفضيل أكثر صدق، وأعدل حكمها، وأصوب اتجاهها - أن يكرم المرء بحسب تقواه، لا بحسب مركزه ونبله وغناه.

فإذا كان هناك ما يمكن أن يتميز به الناس، أو يتتفوق به بعضهم على بعض، أو تكون لأحد به منزلة أعلى ومكانة أرفع - فإن ذلك لا يكون إلا بالتفوي.

فأكرم الناس مكاناً، وأعلاهم قدرًا، وأشرفهم عند الله - جل وعلا - منزلة، هم أتقى الناس لله، وأكثرهم طاعة ومرافقة له، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «الناس كلهم لأدم، وأدم من تراب، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتفوي»

وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِهُؤُلَاءِ النَّاسِ، خَبِيرٌ بِأَحْوَاهُمْ، يَعْلَمُ الْمُفْسَدَ  
وَالْمُصْلَحَ وَالشَّفْقَى وَالتَّقْيَى، وَيُجَزِّئُهُمْ عَلَى الْإِحْسَانِ إِحْسَانًا،  
وَعَلَى صَلَاحِهِمْ وَفَضْلِهِمْ قُرْبًا وَإِكْرَامًا.



## الآيات من (١٤) إلى (١٨) آخر سورة الحجرات

قَاتَلُوكُمُ الْأَغْرِيَابُ إِذَا تَأْتِيَ قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا  
 وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْتُمْ وَلَمَّا يَدْخُلُ الْأَبْيَانُ فِي قُنُوبِكُمْ  
 وَإِنْ تُطِيعُوْا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يُلْكِمُكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا  
 إِنَّ اللَّهَ عَزُورٌ رَحِيمٌ ① إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ إِذَا مُؤْمِنُوا  
 بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ نُفِرُّتُهُمْ وَجْهَنَّمُ أَيْمَانُهُمْ وَالنَّارُ هُمْ  
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْتَاهُمْ هُمُ الصَّابِرُونَ ② قُلْ أَنْعَلَمُ  
 اللَّهُ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ وَهُنَّ عَلَيْهِمْ بِمَا فِي الْأَرْضِ  
 وَاللَّهُ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ وَهُنَّ عَلَيْهِمْ بِمَا فِي السَّمَاوَاتِ  
 قُلْ لَا يَعْلَمُونَ عَلَى إِنْتَهَيَكُمْ بِاللَّهِ يَعْلَمُ عَلَيْكُمْ أَنْ  
 هُنَّ كُلُّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ إِنْ كُنْتُمْ حَسِينُونَ ③ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ  
 عَبْدَكُمْ وَالْأَرْضَ وَاللَّهُ يَعْلَمُ غَاَيَاتِ عَمَلِكُمْ ④

## معاني الكلمات والجمل :

قالت الأعراب أمّنا : ادعى أعراب بني أسد أنّهم آمنوا خطّاعين  
مختارين .

اللهم اسلّمنا ظاهراً خوفاً من القتل

والنبي .

لا ينفكُم من لا ينفكُم من جزاء أعمالكم .

أعمالكم

لم يرتابوا لم يرتابوا

أتعلّمون الله أتعلّمون الله  
قد بنكم .

يُنون عنك أن يُنون عنك أن  
آسلموا آسلموا

بل الله بِنْ عليكم بل الله بِنْ عليكم : الله هو صاحب الفضل الحقيقي عليكم  
هذاكم : وفقكم .

## حقيقة الإيمان :

ليس الإيمان كلمة تقال باللسان ، وإنما هي تصديق بالقلب  
واللسان والأعمال .

لذلك ردّت الآية الكريمة دعوى هؤلاء الأعراب من بني  
أسد بأنّهم آمنوا ، وكشفت لهم أن الإيمان لم يدخل في

قلوهم ، ولم يجاوز الستهم ؛ لأنهم دخلوا الإسلام خوفا على أنفسهم ، وليس افتتاحا بما فيه من هدى وحق ، ورفضت قبول قولهم : آمنا ، وطلبت إليهم أن يقولوا : إنتم أسلمو وانقادوا في الظاهر فقط ، أما الحقيقة فالإيمان عازل بعيدا عن قلوبهم ، ولما يدخلها بعد .

فإذا أرادوا أن يتحقق لهم الإيمان فعليهم أن يتزموا في الظاهر والباطن طاعة الله سبحانه وتعالى ، وطاعة رسوله - صل الله عليه وسلم - وحينئذ يتحقق لهم الإيمان ، ويكتسبون ثواب ما يقدمون من عمل في ظل هذا الإيمان ، ولا ينقص الله من أجور عملهم شيئا ، ويغفر لهم - فوق كل هذا - ما سلف من أخطاء وذنوب .

وثبّت الآيات بعد ذلك حقيقة الإيمان تفصيلا ، فالمؤمن هو الذي يُوقن بوجود الله سبحانه وتعالى - ويؤمن بجميع صفات كماله ، ويثق كل الثقة بتلقى الرسول رسالته من ربِّه ، ولا يدخل عقله أفل شك أو ريبة في الإيمان بالله ورسوله ، ولا يغضّ بهاته ولا ينفسه على حماية الدين ، والدفاع عنه ونشره .

من يفعل ذلك ، ويكون شأنه هو هذا الشأن ، هو المؤمن الحقيقي الصادق .

لَا يَخْفِي شَيْءٌ عَلَى اللَّهِ

فِي سَنَةِ بُخَدَّبَةِ أَقْبَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ أَعْرَابٌ مِّنْ بَنَى أَسْدَ،  
وَادْعُوا - بَنْ يَدِي النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُمْ آمَنُوا،  
وَنَطَّقُوا أَمَانَهُ بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَكَانُوا يَقُولُونَ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ : لَمْ نَقْاتِلْكَ كَمَا قَاتَلَكَ بْنُو فَلَانٍ، وَقَدْ أَسْلَمْنَا بِغَيْرِ قِتَالٍ،  
فَأَعْطَنَا مِنَ الصَّدَقَاتِ، وَجَعَلُوا يَكْثُرُونَ الْمَنَّ عَلَيْهِ بِذَلِكَ . فَلِمَّا  
كَشَفَ اللَّهُ كُلَّ ذَنْبِهِمْ، أَقْسَمُوا أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ بِقُلُوبِهِمْ، فَأَمَرَ اللَّهُ  
رَسُولُهُ أَنْ يَعْلَمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَخْفِي عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي  
السَّمَاوَاتِ، فَكَيْفَ يَخْفِي عَلَيْهِ شَيْءٌ إِيمَانُهُمْ أَنْ كَانُوا صَادِقِينَ؟

أَقْرَأَهُمْ عَلَيْهِ بِإِسْلَامِهِمْ فَلَا مَعْنَى لَهُ ، لَأَنَّ إِسْلَامَهُمْ  
لَا تَنْفَعُهُمْ ، وَاللَّهُ هُوَ الَّذِي يَحْمِلُ عَلَيْهِمْ حَدَادِيَّتَهُمْ وَتَوْفِيقَهُمْ  
لِلإِيمَانِ، وَالانتِفاعَ بِأَثَارِهِ وَتَشَبُّهَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، إِنْ كَانُوا  
حَقًا قَدْ آمَنُوا وَاسْتَجَابُوا، وَادْعُتَ قُلُوبَهُمْ، وَصَدَقُوا فِيهَا  
يَدْخُونَهُ .

وَلَا شَيْءٌ يَخْفِي عَلَى اللَّهِ، فَهُوَ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَكُلُّ مَا  
يَغْيِبُ عَنِّا مَا مَضِيَ أَوْ يَأْتِي فِي مَقْبَلِ الْأَيَّامِ يَعْلَمُهُ اللَّهُ؛ لَأَنَّهُ لَا  
يَغْيِبُ عَنْ عِلْمِهِ صَغِيرٌ أَوْ كَبِيرٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاوَاتِ.

وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَهُوَ بِصَرِّ بَكُمْ وَبِكُلِّ مَا تَعْمَلُونَ  
وَسِيَّحَارٍ بَكُمْ عَنِّهِ مَا تَسْتَحْفُونَ .

## سورة ق

تَهْيَةٌ :

يَكْذِبُ الْكَافِرُونَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ - حَصْلَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -  
عَنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، حِيثُ بِجَازِي النَّاسِ عَلَى أَعْمَالِهِمُ الَّتِي قَدَّمُوهَا  
فِي الدُّنْيَا. وَتَدْعُوهُمْ هَذِهِ السُّورَةُ إِلَى تَأْمِلِ مَا حَوْلَهُمْ مَا نَعْنَعُ  
عَلَيْهِ أَعْيُنَهُمْ، فَفِيهِ الدَّلَالَةُ الْوَاسِعَةُ عَلَى أَنَّ الْبَعْثَ حَقٌّ؛ لَأَنَّ  
قُدْرَةَ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ وَالْإِبْدَاعِ وَالْتَّكْوِينِ - قَادِرَةٌ عَلَى الْإِعْنَادِ  
وَالتَّجْمِيعِ، وَأَنَّ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَمَا حَوْلَهُنَّ، وَالْأَرْضِ وَمَا خَمَّتْ،  
فِيهَا الْكَفَافِيَّةُ لِلْعَقْلَاءِ الَّذِينَ يَرِيدُونَ الْحَقَّ، وَسَعُونَ إِلَيْهِ؛  
لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْوَاحِدِ الْفَقِيرِ.

وَتَعْرِضُ السُّورَةُ لِلْمُكَذِّبِينَ لِرِسْلِهِمْ مَنْ سَقَوْا كُفَّارَ مَكَّةَ  
الَّذِينَ يَعْانِدُونَ وَيَكْذِبُونَ، وَتَبَيَّنَ كَيْفَ كَانَ جَزَاءُ السَّابِقِينَ مِنَ  
الْمُكَذِّبِينَ شَدِيدًا وَمُنَاسِبًا لِكُفُّرِهِمْ وَبَغْيِهِمْ، وَجَزَاءُ الْكُفُّرِ وَاحِدٌ  
لَا يَتَخَلَّفُ، وَهُوَ لَا يَسْلِقُونَ جَزَاءَهُمْ؛ لَأَنَّ أَعْمَالَهُمْ تُسْجَلُ  
وَتُنَدَّوْنَ، وَلَا تُنْسَى وَلَا تُغَيَّرُ.

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَعْلَمُ الْمُكَذِّبُونَ أَنَّ الْحَقَّ قَدْ جَاءَهُمْ مِنْ قَبْلِ  
فَانْصَرَفُوا عَنْهُ، وَيَنْدَمُونَ يَوْمًا لَا يَفِيدُ التَّدَمُ، وَيَخْتَلِفُ كُلُّ وَاحِدٍ  
أَنْ يُلْقِيَ سَبِيلَ الْكُفُّرِ عَلَى مَنْ عَاوَنَهُ عَلَيْهِ، أَوْ شَجَعَهُ عَلَى  
الْكُكْدَبِ وَالْإِنْكَارِ.

في ذلك اليوم يلقى المكذبون جزاء التكذيب والمعصية،  
ويحظى أهل الإيمان بالتعيم المقيم الدائم.  
وتبين الآيات بعد ذلك أن الباب مفتوح لاستدراك الأمر،  
والرجوع عن الخطأ، والانضمام لأهل الفلاح، مذكرةً أن خلق  
السموات والأرض لم يُعجز رب العالمين، فالإعادة أيسر  
وأسهل.

وندعوا الآيات بعد ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
إلى الصبر والتزام الطاعة، وعدم اليأس من استجابة هؤلاء  
الشركين لدعوتهم، ولا يحمل نفسه بسبب تكذيبهم فوق طاقتها  
من الأسى والأسف، فإن الله لن يضيع عمله، وإن موعد  
المكذبين مع الجزاء لن يتاخر طويلاً، فبعثتهم من قبورهم يسيراً،  
وحسابهم على ما قدّمت أيديهم عسراً.

\* \* \*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَوَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝ بَلْ عَجِيزُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ  
مِنْهُمْ قَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ لَمْ يَعْجِزْ ۝ أَنْ يَوْمًا يَقُولُوا  
وَكَانُوا زَارًا ۝ ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝ قَدْ عَلِمْتَ مَا تَصْنَعُ  
الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَمِنْهُمَا كَتَبْ خَيْطٌ ۝ بَلْ كَذَّبُوا  
بِالْحَقِّ لَا يَجِدُهُمْ فِيهِمْ فِي الْأَرْضِ ضَرِيعٌ ۝ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا  
إِلَى السَّمَاوَاتِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ يَبْثِثُنَا وَرَيْثُنَا وَمَا نَلَمْنَا مِنْ  
فُرُوجٍ ۝ وَالْأَرْضُ مَدَدُنَا وَالْقَبَابِيْرُ دَوَّنَنِي  
وَأَبْثَثْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ زَوْجٌ ۝ نَيْصَرَةً وَذَرَّى لِكُلِّ  
عَبْدٍ عَبْدٍ ۝ وَزَرْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ مَا نَهَى عَبْرَكَ فَانْبَثَتْ  
يَهُوَ جَنْتَ وَحْبَ الْخَصِيدَ ۝ وَالنَّحْلَ يَسْقُتُ هَنَّا  
طَلْعَ تَضِيدَ ۝ رَزْقاً لِلْعِبَادِ وَاحْيَيْنَا يَدَهُ بَلْدَةَ عَبْنَا  
كَذَلِكَ الْخَرْوَجَ ۝

## معاني الكلمات والجمل :

ف : حرف من حروف المجامه العربي الذي يتكون منه الكلام (يفيد من يدعى أن القرآن ليس من عند الله أنه إذا لم يكن من عند الله فأتوا بمثله، وهو يتركب من الحروف نفسها التي تتكلمون بها).

والقرآن المجيد : قسم بالقرآن العظيم ذي المجد والرفعة والشرف على جميع ما سبقه من الكتب السماوية.

منذر منهم : رسول من بينهم ينذرهم عذاب الله عند المخالفه.

ذلك رجع بعيد : الإعادة بعد الموت بعيدة الاحتمال والواقع.

ما تنقص الأرض : ما تأكله الأرض من أجادهم بعد موتهم ودفنهم فيها.

كتاب حفيظ : يحفظ كل صغيرة وكبيرة، فلا يغيب عنه شيء وهو اللوح المحفوظ.

كذبوا بالحق : محمد - صلى الله عليه وسلم - ورسالته وبالقرآن العظيم الساطع الأدلة والبراهين.

- أمر مريح** : حالة شديدة الاختراب تخلط فيها الأشياء، فلا تمييز بين صواب وخطأ، وخير وشر.
- بتناها وزيناها** : أنشأناها وأقمناها بلا أعمدة ثرى، وملأناها بالكواكب المضيئة والنجوم المثيرة زينة لها وجمالاً.
- ما لها من فروج** : ليس فيها شقوق ولقوب تشوه شكلها، أو تحدث خللاً واضطراباً.
- مدداها** : بسطناها وسويناها للاستقرار عليها، والسير في مسالكها.
- رواسي** : جبال آتية، تحفظ توازتها فلا تضطرب ولا تغبل من كل زوج بحير من كل نوع وصنف من النبات يسر العين، ويشرح الصدر لشدة حسنه وجمال مرآه.
- نصرة وذكرى** : للتدبر والعضة والتذكرة بقدرة الله، وعظيم صنعه.
- منيب** : عائد إلى الله باتوبه والعمل الصالح، والتفكير في بديع خلقه.
- جنات** : حدائق وبساتين مليئة بالغواكه والثمرات.

**حب الحصيد** : حب الزرع الذي يحصد مما نأكله كالقمح والشعير والأرز.

**والنخل باستفات** : وأخرجنا بالماء أشجار النخيل طوبلات مشرعة في الجو.

**طلع نضيد** : شعر متراصٌ بعضه على بعض في ترتيب بديع.

**أحيينا به يلددة ميتا** : أحييـنا بالماء أرضاً مجدهـة قـراء، فـاصـبحـت خـصـيـة مـثـيـة خـضـراء.

**كذلك الخروج** : كـما نـحـى الـأـرـضـ بـعـدـ موـقـهاـ بـالـماءـ كـذـلـكـ تـحـيـكـمـ وـبـعـثـكـمـ يـوـمـ الـقيـامـةـ.

معنى آفاق :

هـذـا السـوـرة بـحـرـفـ مـنـ حـرـوفـ الـهـجـاءـ الـعـرـبـيـةـ، الـتـيـ تـكـوـنـ مـنـ وـمـنـ غـيـرـهـ مـنـ الـأـحـرـفـ لـغـتـاـ الـتـيـ تـكـلـمـ أوـ نـكـتـ بـهـاـ، وـلـعـبـرـ مـنـ خـلـلـهـاـ عـمـاـ نـرـيـدـهـ مـنـ الـمـعـانـيـ وـالـأـفـكـارـ.

ولقد كان الكفار من العرب يدعون أن القرآن الكريم ليس من عند الله، ولعل بهذه هذه السورة وغيرها من سور التي افتتحت ببعض الحروف، مثل (ص) و(ن) و(حـمـ) و(أـلمـ) فيه تحذية لهؤلاء الكفار، وإنطـالـ لـقـوـلـهـمـ ؛ فالقرآن الكريم مركب من كلمات عربية، تتركب من حروف يعرفونها، ويتعلّقون بها، فإذا كان القرآن من كلام محمد، فإن في مقدورهم وهم أهل

القصاحة والبيان، ولغتهم مثل لغته - أن يأتوا بهثله .

ولقد بدأت بعض السور بهذه الحروف، وكأنها تقول لهم : هاتوا مثل هذا القرآن ، أو مثل أصغر سورة من سوره ، إن كان ليس وحياً مترلاً من الله سبحانه وتعالى ، وهو كما ترون يتربك من الحروف التي يتكون منها كلامهم . ولكنهم لم يقدروا ، وعجزوا ، فائتبوا بذلك كذبهم وكفرهم ، وتحقق أن القرآن كتاب الله أنزله على رسوله هدى ونورا ، وبيانا لكل شيء .

### الرسالة والبعث :

تبدأ السورة بعد ذلك بالقسم بهذا القرآن العظيم ، صاحب الشرف والقدر ، لأنه كلام الله الذي يتضمن دينه الخاتم لكل الديانات ، ولأنه كذلك حفظه على توالي الأرمان من التغيير والتبدل ، كما حفظه من كل ما أصاب ما سبقه من الكتب من التحريف والتقصص . تبدأ السورة بالقسم بالقرآن على صدق الرسول - حصل الله عليه وسلم - في أنه مرسى من الله ، وصدقه في كل ما يبلغه عنه من الأحكام والأخبار .

ولقد كان المشركون يعجبون ويدهشون من أن يأتيهم منذر من جسمهم ، وأن يرسل الله من بينهم من يعلمهم ويرشدهم ، ويبشرهم ومحذرهم ، ويقول لهم : إنهم معموتون من بعد الموت ، وإنهم سيخرجون من قبورهم ، بعد أن بلئت أحسادهم ، وتحولت أيديهم إلى رماد ، ثم يحاسبون على

أعْنَاهُمْ . وَكَانَ ذَلِكَ فِي رَأْيِهِمْ بِعِدًا غَيْرَ مُعْقُولٍ وَأَنَّهُ مُحَالٌ أَنْ  
يَدْخُلَ فِي الْإِمْكَانِ .

وَلَمْ يَقْفِ الأَمْرُ بِهِمْ عَنِ التَّعْجِبِ وَالْمُهْتَاجَةِ فَقْطَ ، وَإِنَّا خَرَجْ  
بِهِمْ إِلَى الْخِيرَةِ وَالْأَضْطَرَابِ ، وَالْتَّكَذِيبِ وَالْأَفْتَاءِ ، فَقَالُوا عَنِ  
الرَّسُولِ - حَصْلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَرَّةً إِنَّهُ مَحْتُونٌ ، وَأَخْرَى إِنَّهُ  
سَاحِرٌ ، وَ ثَالِثَةً : إِنَّهُ كَاهِنٌ ، وَشَاعِرٌ ، وَأَسَاطِيرِ الْأَوَّلِينَ اكْتَبَهَا .

وَهَكَذَا حِينَ كَذَبُوا بِالْحَقِّ الْمُبَيِّنِ لَمْ يَسْتَفِرُوا عَلَى  
حَالٍ ، وَنَارَجُوهُمْ هَذَا وَهَذَا ، وَاسْتَبَدَّ بِهِمُ الْقُلُقُ وَالشُّكُرُ ، فَهُمْ  
فِي أَمْرٍ مُرِيجٍ مُنْقَلِبٍ مُضطَربٍ .

وَلَذِكْرُهُ لَمْ يَبْتَهِنُوا عَلَى رَأْيِ وَاحِدٍ ، وَانْطَلَقُوا مِنْ أَهْوَاتِهِمْ  
الْمُتَذَبِّبةِ فَقَالُوا مَثَلًا عَنِ الْبَعْثَ حِينَ: إِنَّهُ لَنْ يَكُونُ ، وَحِينَ قَالُوا:  
إِنَّهُ لَهُ إِلَّا حَيَا تَمَّا الدُّنْيَا وَمَا تَرَى يَعْوِظُنِيْنِ<sup>(١)</sup> وَكَذَلِكَ قَالُوا  
عِنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى الإِعْبَانِ بِالْبَعْثِ: أَشْرَأْبَعَابَاهُنَا إِنْ كُنْتَ  
صَادِقًا<sup>(٢)</sup> . وَهَكَذَا الْبَاطِلُ لَا جُدُورَ لَهُ وَلَا تَبَاتُ .

مِنْ أَدْلَةِ الْبَعْثِ :

نَكْشُفُ الْآيَاتِ عَنْ خَفْلَةِ الْمُشْرِكِينَ ، وَتَعْطَبُهُمْ لِعَقْوَهُمْ  
وَتَقْدِمُ الْأَدْلَةُ الْقَاطِعَةُ عَلَى صَدَقِ الرَّسُولِ ، وَصَدَقَ مَا جَاءَ بِهِ ،  
مَا تَقْعُدُ أَعْيُنُهُمْ عَلَيْهِ ، وَيَحْرُونَ بِهِ فِي نَخْدُوْهُمْ وَرَوَاهِهِمْ .

(١) سورة الأنعام / الآية ٢٩

(٢) سورة الحجية / الآية ٧٠

وتبين الآيات علم الله الواسع الذي يحيط بكل شيء، ولا تخفي عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وكيف أنه خلق الخلق، ويعرف من أي شيء خلقهم، فإذا ماتوا وتحلوا فإنه يعرف أصول أجادهم، لا تغيب عن علمه، ولا تخفي مكانها عليه، ومع هذا العلم الشامل المحيط بكل ذلك مذون عند الله في كتاب أمين دقيق الحفظ، فيه كل ما كان أو يكون. فإذا أراد الله سبحانه إعادة الخلق جمع ذرات أجسامهم من كل مكان تكون فيه، وأعادها كما كانت، وكما حلقتها أول مرة، فصاحب هذا العلم المحيط لا يعجز عن إحياء الموق وبعثهم. بل هو أهون عليه.

ثم تدعوهم الآيات إلى التأمل في كل ما حولهم، وإلى النظر في السماء، والتفكير في خلق الله لها، وتزيينها بالنجوم، وكما لها في صورتها، فلا تتصدّع ولا شقوق منذ برأها الله، وإلى النظر في الأرض وكيف مهدها ونبت أركانها بالححال الشائخة العالية في أرجانها حتى لا تميل أو تصطرب، وجعلها صالحة للحياة، حتى يمكن أن يقيم الأحياء عليها حيواتهم، ويسيروا في سواحها كيف شاءوا، وجعل فيها أنواع النبات والزرع الذي يهيج العيون، ويسعد القلوب، وأنزل عليها الماء المبارك الذي هو سبب الحياة لهم وللأرض التي يعيشون عليها، فثبت لهم به الجثث الخميلة، المحملة بأصناف الفواكه، ونبت أنواع

الحليب التي يتركب منها غذاؤهم، ويخرج النخل العالي الطويل الممتد إلى السماء يحمل كل أنواع التمور والرطب، في منظر منظم بدائع، يسر الناظرين.

وكل ما تنبت الأرض من خيرات، وتحمود به من ثمار،  
جعله الله تعالى رزقا للعباد لعلهم يشكرون.

هذا الذي يرونه إذا تأمله أهل الإيمان تدبروا واعتبروا،  
وكان لهم من ورائهم تذكر وعظة واعتبار، فيزيد إقبالهم على الله، والتزامهم طريقه المستقيم، أما غير المؤمنين فيقع كل هذا تحت أعينهم، ويمرون به وبغيره من دلائل عظمته الله وقدرته فلا ينتبهون إليه، ولا يلاحظون.

وكم من حاحد آناء الله بعض العلم، فتحدث عن قانون  
الجاذبية الذي انتظم العالم كلها، ولو لاه لاختل نظام الكون،  
وفسدت الحياة، ومع ذلك لم يفكّر من موجد هذا القانون،  
وعاش مفتوح البصر، ولكن عميت عن الحق بصيرته.

كيف ينكر الناس البعث، وهم يرون الماء الطيب الكثير  
البركات، الذي يتزل من ناحية السماء من فوقهم على الأرض  
المقرفة الجدباء التي لا نبت فيها ولا زرع، فتحول إلى مروج  
حضراء تزدان بالزروع والثمار البانعة؟

أليس في هذا إحياء للأرض التي كانت ميتة؟ وهي عملية

دائمة مستمرة معلومة كذلك تكون الحياة الآخرة، والبعث من  
بعد الممات.

بهذا كشفت لهم الآيات عن غفلتهم، وباطل ما يذهبون  
إليه في تفكيرهم من إنكار للبعث والآخرة، إذ لا حجة لهم في  
هذا القول أو هذا التفكير؛ لأن كل ما حو لهم يدهم على الحق،  
ويدعوهم إلى التصديق والإيمان.

\* \* \*

(٢) الآيات من (١٢) إلى (٢٢) من سورة ق

كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٌ وَأَنْجَنَ  
 الْأَرْضَ وَنَجَوْدَ (١٢) وَمَادَ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْرَوْنُ لَوْرَطَ  
 وَأَنْجَنَ الْأَيْكَةَ وَقَوْمٌ تَبَعَ كُلَّ كَذَبَ الرَّسُولَ لَهُنَّ  
 وَعِيدَ (١٣) أَفْعَيْنَا يَا لَحْقَى الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَهْقَى مِنْ  
 حَلْقِ جَدِيدٍ (١٤) وَلَقَدْ خَلَقْنَا إِلَيْنَّ وَعَلِمْ مَا تُوَسِّعُ  
 بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَفْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدَ (١٥)  
 إِذْ يَتَاقِ الْمُتَلَقِّيَنَ عَنِ الْبَيْنِ وَعَنِ الشَّيْلِ قَعِيدَ (١٦)  
 مَا يَلْقَطُ مِنْ قَوْلِ إِلَّا لَدَهُ رَقِبٌ عَيْدَ (١٧) وَجَاءَتْ  
 سَرَّةُ الْعَوْتِ يَا لَحْقَى ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَجْبِيدُ (١٨)  
 وَتَفَخَّضَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدَ (١٩) وَجَاءَتْ كُلُّ  
 نَفَرٍ مَعَهَا سَاقٌ وَشَهِيدٌ (٢٠) لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ  
 هَذَا فَكَتَفْتَأَ عَنْكَ غِطَاةَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢١)

## معاني الكلمات والجمل :

كذبت قبلهم : كذبت بالرسول قبل قريش أقوام .  
 أصحاب الرس : أصحاب البشر، وقد أرسل إليهم شعيب عليه السلام كما أرسل إلى أصحاب الآيكة .

أصحاب الآيكة : أصحاب الشجر الكبير الملتئف، وهم قوم شعيب .

قوم تبع : قوم ملك اليمن المعنى بـ تَبْعَثُ الحميري .  
 فحق وعهد : فوجب عليهم وعيدي وعقابي .  
 أفعيبنا بالخلق : هل عجزنا عن الإنشاء والتكونين وبده  
 الخلق ، حتى نعجز عن الإعادة بعد  
 الأول ؟  
 الموت ؟

بل هم في لبس من : هم في شك وشبهة وحيرة من أمر البعث  
 خلق جديد بعد الموت ، وهو الخلق الثاني بعد الخلق  
 الأول .

توسوس به نفسه : ما يدور في خاطره ، ويحدث به نفسه ،  
 ولا يطلع عليه أحد .

حبل الوريد : عرق كبير في العنق .  
 إذ يتلقى المتلقيان : حين يسجل المكان الموكلان تسجيل  
 أعمال الإنسان وأقواله .

عن اليمين وعن الشوال قعيد : ملْك قاعد ملازم للإنسان عن العين يكتب حساته ، وآخر عن بسراه يكتب سباته .

رقيب عتيد : ملك مراقب لأحوال الإنسان ، حافظ لما يقوله ، حاضر لا يغيب .

وجاءت سكرة الموت بالحق : جاءت شدة الموت التي تذهل العقل وتذهب بالأمر الحق من أحوال الآخرة .  
تجيد تهرب وتفرّ .

نفح في الصور يوم الوعيد : أعلن بالبوق عن جيء يوم القيمة .  
اليوم الذي وعد الله الكافرين ما يلاقون فيه من العذاب الشديد .

سائق وشهيد : ملك يسوقها إلى المحشر ، وملك يشهد لها أو عليها بعملها .

لقد كنت في غفلة : لقد كنت أيها الكافر في غفلة من عوائق من هذا كفرك ، وما يتطرقك اليوم من الهول والشدة .

كشفنا عنك غطاءك : أزلتا غفلتك وحجابك ، فوضع ما كان خافيأ .

فيصرك اليوم حديد : بصرك اليوم نافذ حاد قوي ، ترى به ما كان محجوبا عنك .

## تعرية وتحقيق :

كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يعيش بين قومه قبل الرسالة، وكان الجميع يحبونه، ويقدرونها، فلما جاءهم بـ الدين الله الذي يصلح أحوالهم، ويحقق لهم الخبر، لم يكن يتوقع أن يقابلوا بما قابلوه به من التكذيب والإيذاء، بل كان يرى أنه - وهو يقدم لهم هذا المهدى - لا بد أن يزيد حبهم له. «**هَلْ جَزَاءُ**  
**الْإِخْرَانِ إِلَّا الْإِخْرَانُ**»<sup>١٩١</sup> لذلك شق على النبي - صلى الله عليه وسلم - ما فعلوه، وساءه ما قابلوا به دعوته، وأزعجه ما تلقوا به رسالة ربهم، وحزن لذلك أشد الحزن، فأراد الله - سبحانه وتعالى - أن يذهب عنه هذا الحزن، ويخفف هذا الأسى، فيين له أن كل الرسل الذين أرسلهم من قبله، كثروا وأذاهم قومهم، وأسلعوا إلى من آمن من بينهم برسالتهم ورسالاتهم.

وذكر له بعض هؤلاء المكلفين لرسلهم قوم (نوح) الذين أقام بينهم، يدعوهم إلى الإيمان والهدى قرابة الف سنة، فكذبوه، ولم يؤمن به إلا قليل منهم، وك أصحاب (شعب) الذين دعاهم فما استجابوا له، وهم أصحاب البتر، وأصحاب الشجر الكبير الملتئف المحتال الكثير الأغصان، وك القوم (صالح) وهم نمود، وك قوم (هود) وهم عاد، وك فرعون وقومه الذين

<sup>١٩١</sup> سورة الرحمن / الآية ٢٠

أرسل إليهم (موسى)، وقوم (لوط)، وقوم ملك اليمن ثمّ، كل هؤلاء الأقوام أتتهم رسالاتهم بما يصلح شأنهم، ويعالج شرورهم، ويظهر حياتهم من الكفر والمعاصي، وجاءتهم بأديان عن عند الله، تخرجهم من الظلمات إلى النور، ولكنهم لم يستجيبوا، وكذبوا، وغلب عليهم الشر، وسيطر عليهم الشيطان، فلم يؤمنوا. وفي الآية إشارة إلى أن من كذب رسولاً فقد كذب بجميع رسالاته.

هؤلاء الأقوام كانوا أشد قوّة من قريش، وأكثر عدداً وعدة، فإذا كان جرازهم، لقد كان الجزاء من جنس العمل، أساءوا فحق عليهم العذاب، فلهموا تدميراً.

بـهذا خفف الله - سبحانه وتعالى - عن رسوله صلى الله عليه وسلم، وبين له، أنه يكذب كـما كذب الرسـل من قبلـه، وأن الله الذي أرسـله سـينصره على المـكذـبين، وأنـهم لـن يـفـلـتوـاـ من العـقـابـ، كـما لـم يـفـلـتـ من عـقـابـهـ مـن كـذـبـواـ مـن سـيـقهـ مـن المرـسلـينـ.

في هذا التخفيف عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إنذار وتحذير هؤلاء المـكـذـبـينـ، حتى يـرـجـعواـ عنـ غـيـرـهـمـ، ويـرـكـواـ فـسـادـهـمـ وـيـاضـلـلـهـمـ، ويـدـخـلـواـ فيـ دـيـنـ اللهـ، الـذـي يـقـيلـ التـوـبـةـ، ويـغـفـرـ لـمـن يـرـجـعـ إـلـيـهـ نـادـمـاـ مـسـتـقـيـماـ.

ثم تعود الآيات إلى ماقشة قضية البعث التي يكذب بها  
أهل مكة وتوكّد بالدليل الشاهد وهو الخلق الأول صحة  
البعث، وقدرة الله عليه، إذا لم يعجزه الإنسان والتلورين،  
فكيف تعجزه الإعادة والتجمّع، وتبين للرسول - صلى الله  
عليه وسلم - أن هؤلاء الذين يكذبونه، لا ينكرون في الحقيقة -  
قدرة الله، ولكنهم في حيرة وأضطراب من أمر البعث،  
واختلاط وشك في شأن الإعادة من جديد. وهم بهذا يدلّون  
على نقص تفكيرهم، وفساد رأيهم، فهم لا ينكرون أن الله  
تعالى هو الذي أنشأ الخلق من عدم، فكيف يستبعدون قضية  
البعث بعد الموت وهو أهون على الله جل وعلا؟

لا يخفى على الله شيء :

الله سبحانه وتعالى خالق الإنسان، ولأنه خالقه فلا يمكن أن  
يغيب عن عاليه شيء من أحواله، حتى ما يحدُث به نفسه، أو يدور  
في خاطره وضميره، فعلم الله يحيط به في كل صغيرة وكبيرة،  
والله تعالى أقرب إليه من وريده الذي يجري فيه دمه .

ومع هذا العلم الشامل المحيط، فإن الله تعالى قد وكل بكل  
إنسان ملائكة عن يمينه ملك الحسناوات، وعن يساره ملك  
السيئات، فيما من شيء يفعله الإنسان أو يقوله إلا وهو مسجل  
عليه، وقد ينسى الإنسان ما يقوله أو يفعله مع مر الأيام،

ودهاب الليلي ، ولكن الملائكة الموكلين به عن اليمين قعيد ملازم ، وعن اليسار قعيد ملازم ، لا يفارقانه ، ولا يتركان شيئاً من أقواله وافعاله من الخير والشر ، والحلال والحرام دون تحليل ، ولا يفوتها أمر من الأمور ، ولا لفظ من الألفاظ منها يمكن صغيراً دون تدوين .

«**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**»<sup>(١)</sup> ، فالرقابة في غاية الدقة ، والملك أمين حافظ حاضر لا يغيب ، ولا يغتربه ما يغتري الإنسان من الغفلة والسبان والتعب وال الحاجة إلى الراحة واللطم . ثم تطوى بمحبت الإنسان صحيفته عمله المكتوبة بيد الملائكة ، ولا يستطيع يوم السؤال أن يمحوها أو ينكرها حين تعرّض عليه ويقال له : «**أَفَرَا كَتَبْكَ كُنْ يَتَقْسِيكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا**»<sup>(٢)</sup> .

وبينه الله سبحانه وتعالى في الآيات إلى أن يوم القيمة حق وآت ولا رب فيه .

فإنسان بظل يعمل ويقول مادام حيا ، حتى إذا أقبل عليه الموت بشدته وسكراته التي أشار إليها رسول الله بقوله : «**لَا إِلَهَ إِلَّا الله ، إِنَّ لِلنَّاسِ سَكْرَاتٍ**»<sup>(٣)</sup> . يدرك عندئذ أن البعث حق ، وأن الآخرة حق ، وأن ما كان لا يصدقه ويهرب من الاقتناع

(١) سورة الأسراء / الآية ١٦

(٢) سورة العنكبوت

بوجوده - حقيقة واقعة، لا يهرب منها ولا مفر، ويعلم حيث لا ينفعه العلم أن دعوة الرسول إلى الإيمان والهدى كانت لغيره ونفعه، وأن التحذير من يوم القيمة إنما كان ليترؤد له بالإيمان الصحيح، والعمل الصالح، حتى يتغى ما أعد فيه للعصاة والمذنبين من العذاب والهوان.

### الإعلام بالبعث :

ثم يستقل المرء من سكرات الموت إلى أهوال البعث والآخرة والحساب، حيث ياذن الله سبحانه وتعالى بقيام الناس من قبورهم، فبعلن ذلك الملك الموكل بهذا العمل، وهو (إسرافيل) عن طريق التفخ في البرق، ويخرج الناس من قبورهم، ويتجمعون للحساب عما قدموه في حياتهم من أعمال، وهذا هو يوم الوعيد بعذاب الكفار، إذ يبعث الناس ومع كل واحد منهم سائق يسوقه، ويدله على مكانه، وشهيد يشهد له أو عليه، إنما المكان اللذان قضيا معه رحلة عمره، يذهبان به إلى المحكمة أمام أعدل العادلين، وأحكم الحاكمين. فالحكم لله الواحد القهار.

وهنا يدرك الذين جحدوا الآخرة مقدار غفلتهم وخلالهم. فكل أعمالهم حاضرة أمامهم، وكل ما قدموه في حياتهم مسجل مدون، لم يغب منه شيء، ويقال لهم تبكينا وتأنيبا: لقد كنتم

لَا تُتَوَقَّعُونَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ الْيَوْمِ، وَلَطَالِمًا جَاءَكُمْ الْهُدَىٰ، وَذِكْرَتِمْ،  
وَرُؤْيَاتِمْ، وَبَهْتَمْ، فَلَمْ يَنْفَعْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ مَعَكُمْ، وَهَا هُنَّ  
تِلْكَ الْفَشَاوَةُ الَّتِي كَانَتْ عَلَىٰ أَعْيُنِكُمْ قَدْ زَالَتْ، وَأَصْبَحَتْ  
أَبْصَارُكُمْ قُوَّيْةٌ حَادَّةٌ، لَا تَخْفِي عَلَيْهَا الْأَشْيَاءِ.

\* \* \*

وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَى عَبْدِ<sup>(٢٣)</sup> الْقِيَامِيْنَ جَهَنَّمَ كُلُّ  
 كُفَّارٍ عَبْدِ<sup>(٢٤)</sup> مَسَاعِ الْخَيْرِ مُعْتَدِلٌ مُرِيبٌ<sup>(٢٥)</sup> الَّذِي  
 جَعَلَ مَعَ أَنْفُسِهِ إِلَيْهَا تَأْنِيرَ الْقِيَامِ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ<sup>(٢٦)</sup>  
 \* قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتَهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ  
 بَعْدِ<sup>(٢٧)</sup> قَالَ لَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ وَقَدْ قَدِهْتَ إِلَيْكُمْ  
 بِالْوَعِيدِ<sup>(٢٨)</sup> مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَى وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ  
 لِلْعَبِيدِ<sup>(٢٩)</sup> يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هُنَّ أَمْثَلَاتٍ وَنَقُولُ هُنَّ  
 مِنْ مُرِيبِ<sup>(٣٠)</sup> وَأَزْلَفْتُ أَلْجَنَّةً لِلْمُتَقِبِّلِينَ غَيْرَ بَعْدِ<sup>(٣١)</sup>  
 هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أُوَابٍ حَقِيقَةٍ<sup>(٣٢)</sup> مَنْ خَسِيَ  
 الْرَّحْنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنْبِيبٍ<sup>(٣٣)</sup> أَدْخَلُوهَا بِسَلَامٍ  
 ذَلِكَ يَوْمُ الْحُلُودِ<sup>(٣٤)</sup> لَهُمْ مَا يَسَأَهُ وَنَفِهَا وَلَدِيْنَا

مُرِيبٌ<sup>(٣٥)</sup>

معاني الكلمات والجمل :

قريرته : الملك الذي يسجل المعا�ي .  
هذا ما لدى عتيد : هذا ما عندي من عمله - حاضر ، مُعَدْ  
مُسْجِل .

القيا في جهنم : أمر صادر من الله تعالى للملائكة السائق  
والشهيد بأن يقذفوا في جهنم .

كل كفار عتيد : شديد الرفض للإيمان ، كثير العناد  
والعصيان ، غير مؤمن بالبعث  
والحساب .

منع للخير : كثير المتع للحقوق لا يعمل الخير ، ولا  
يعين عليه ، ولا يدع غيره يفعله .

معتقد ثريث : ظالم باع يشك في دينه وفي البعث ، ولا  
يصدق ما جاءه عن عذاب العصاة في  
الآخرة .

قال قريرته : هنا معناه الشيطان الموكل بإغواهه الذي  
زين له السُّوء ، وأعانه على الشر .

ما أطفيته : ما أضلته ولا أعنته على العصيان  
والظلم .

ولكن كان في : كان ضالاً باختياره ، نجح في العمى على  
الهدى ، غير محتاج إلى من يغويه .

**لا تختصموا الذي** : لا تخاصموه ولا تجادلوا أمهامي ، فلا جدوى من هذا الخصم .

**ما يبدل القول الذي** : لا يغير عندي ما سبق إعلامكم به من وعده ووعيد .

**أزلفت الجنة** : فربت وأدبيت من أهل التقوى والطاعة تكريما لهم .

**أواب حفيظ** : كثير الرجوع إلى الله بالسلام والتوبة والعمل الصالح ، ذاكر لذنبه ، لا ينها حتى لا يعود مثلها ، حافظ لعهد الله وميثاقه .

**من خشي الرحمن** : من خاف الرحمن دون أن يراه .  
**بالغيب**

**قلب منيب** : قلب مقبل على طاعة الله ، كثير الرجوع إليه والخشع .

**ادخلوها بسلام** : ادخلوا الجنة بسلامة وأمان .  
**يوم الخلود** : يوم البقاء الدائم والحياة التي لا تنتهي في النعيم المقيم .

**ولدينا مزيد** : عندنا زيادة على ما نالوا من التكريم ، فالذي عند الله أكبر مما يشاء المؤمنون ويتمتونه .

## صحيفة الأعمال :

حين يبدأ الحساب، يقدم الملك الموكيل بالمعاصي وهو الشهيد بحفل سباته التي أحضرها مقيداً فيها كل ما عمله في حياته قائلاً: هذا ما عندي من عمله حاضر معد ناطق عليه بالحق، عندئذ يأمر الله حل شأنه السائق الذي ساق الكافر للحساب، والشهيد الذي شهد عليه، بأن يلقى هذا الضال في نار جهنم القاسية، جزاء على شدة كفره، وضلالة، وجحوده، وعنداته، ومنعه للخير، وعدوانه على غيره، وشكه في حقيقة الدين، وصدق من جاء به، وإشراكه مع الله إلها آخر.

وهو جدير بهذا العذاب، مستحق لكل هوان، ومذلة؛ فقد جاءه الهدى من قبل فقصد عنه، ودعاه الله إلى الخير، والفلاح فرکن إلى الشيطان، واستجاب لشره، وأقبل على المعاصي غافلاً عن يوم الحساب، وهذه صفات كلها غاية في القبح يناسبها أشد العذاب، يومئذ بمحاول الكافر أن يلقى سب كفره، ومعصيته على قرينهسوء، وهو شيطانه الذي زين له الشر وأغراه به، ويرد القرين عليه معادلاً الصاق الذب به، وإبعاده عن نفسه قائلاً: ربنا ما أطغيته، ولا أصلحته، ولكنه كان ضالاً باختياره، محباً للشر غير محتاج إلى من يغويه فيؤمر أن يترك المخاصمة، والمشاحنة، والخدال، إذ لا فائدة ترجى من ذلك، فاليوم للحساب، والجزاء، وقد سبق أن قدمنت إليكم

بالوعيد على لسان رسل وكتبي ، فما تقع التحذير والوعيد ، بل وضيع الضالون أصحابهم في آذانهم فلم يسمعوا ، وكذبوا ، واغترروا ، وكفروا بربهم ، وعصوا رسوله . والذى يحدث الان من جراء إثما هو العدل ، حيث ثبت إنكم بآن العاصي يعذب ، والقول لا يبدل عند الله ، فمن عصى فقد استحق العقاب ، وما ظلمه الله ، وإنما هو الظالم لنفسه لإيقاعها في الملاك . وكان ابن عباس يقول في تفسير «وما أنا بظلام للعبيد» : «ما أزيد في عقاب مسيء ، ولا أنقص من ثواب حسن» .

#### مصير وجزاء :

في يوم القيمة تستقبل نار جهنم أفواج العصاة المذنبين كلها التي فيها فوج تطلعت إلى فوج جديد ولا تزال هكذا تتلفظ ، وتتشوق . متلهمة على احتواه العصاة من إنسانها المغضوب عليهم فيوجه إليها سؤال : «هل امتلات؟»؟ ويأتي جوابها «هل من مزيد؟»؟ فهي لا تشبع ، ولو سئلت بعد هذا : هل تسع لأحد لكن جوابها : وهل بقى مذنب لم يدخل؟ لقد وسعتهم جميعا ، واستواعت كل الكافرين المذنبين ، والعصاة المعاندين .

هؤلاء هم وقدها كما قال تعالى : «وقدّها أثائٌ<sup>(١)</sup> وَالْحِجَارَةُ»<sup>(٢)</sup> . وكلها أنضجت لهم النار بذل الله جلودهم ولحومهم وأعادها ، ليزيد اشتهاها وسعيرها ، ويدوّنوا العذاب

<sup>(١)</sup> سورة التحرير الآية ٦ .

جَهَنَّمًا، لَا يُخْفَى عَنْهُمْ وَلَا يُتَهَمُ .  
أَمَّا أَهْلُ الطَّاعَةِ وَالإِيمَانِ، وَأَصْحَابُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَرُزُوْدُ  
الْخَيْرِ، الَّذِينَ اتَّقَوْا اللَّهَ وَرَاقَبُوهُ فِي أَهْوَاهُمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَعَالَاقَاتِهِمْ  
فَإِنَّ الْجَنَّةَ تَقْرُبُ إِلَيْهِمْ فَلَا يَكْلُفُونَ شَقَّةً الدَّهَابِ إِلَيْهَا زِيادةً فِي  
الْتَّكْرِيمِ، وَيَدْخُلُونَهَا مُنْعَذِّبِينَ مَكْرُمِينَ، تَحْقِيقًا لِوَعْدِ اللَّهِ لَهُمْ،  
وَجَزَاءَ تَبَّاهِيهِمْ هَذَا الْيَوْمُ، وَسَعِيهِمْ إِلَيْهِ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ  
وَرَجُوعِهِمْ إِلَى اللَّهِ، وَمِبَادِرَتِهِمْ إِلَى النَّدَمِ وَالاسْتغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ عِنْدِ  
أَصْغَرِ خَطَاً يَقْعُدُ مِنْهُمْ، وَحَرَصَهُمْ عَلَى إِرْضَاءِ رَبِّهِمْ فِي كُلِّ  
أَهْوَاهِهِمْ، وَخَشِيتِهِمُ اللَّهُ بِالْغَيْبِ دُونَ أَنْ يَسْرُوهُ فِي سُرُّهُمْ،  
وَعَلَيْهِمْ، فِي غَيْرِهِمْ وَيُسْرِهِمْ، ثُمَّ جَاءُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِقُلُوبٍ  
سَلِيمَةً طَاهِرَةً مُقْبِلَةً عَلَى اللَّهِ مُهْتَلَّةً بِمحِبَّتِهِ وَخَشِبَتِهِ فِي كُلِّ وقتٍ.  
وَيَقَالُ لَهُمْ وَهُمْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوهَا  
سَالِمِينَ مِنْ كُلِّ الْمُنْعَذِّبَاتِ، خَالِدِينَ خَلُودًا دَائِيَا أَبْدِيَا لَا يُتَهَمُ  
وَلَا يَزُولُ وَلَا يَعْتَرِيكُمْ فَناءً .

إِنَّهُمْ فِي الْجَنَّةِ مَكْرُمُونَ غَايَةُ التَّكْرِيمِ، لَا تُتَهَمُ أَنْفُسُهُمْ  
شَيْئًا إِلَّا وَجَدُوهُ حَاضِرًا، وَلَا يَرِيدُونَ حَاجَةً إِلَّا كَاتَبَتْ بَيْنَ  
أَيْدِيهِمْ فَوْرًا مَا تَخَطَّرَ عَلَى قُلُوبِهِمْ، بَلْ إِنَّهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَكْثَرُ مِنْ  
ذَلِكَ وَزِيادةً مِنَ التَّكْرِيمِ غَيْرِ المَحْدُودِ: لَا هُمْ أَهْلُ طَاعَةِ اللَّهِ  
وَمُحِبَّتِهِ وَرَحْمَاهُ .

وَكُنْ أَنْذِكَ فِيْهِم مِنْ قَرْبِهِمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ  
 بَعْطَنَا فَتَقَرَّأَ فِي الْبَلَدِ هَلْ مِنْ مُجْبِسٍ ⑩ إِنَّ فِي ذَلِكَ  
 لَذِكْرًا لِعَنْ كَانَ لَهُ رُقْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّعْ وَهُوَ شَيْءٌ ⑪  
 وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْمَوْتَ وَالْأَرْضَ وَمَا يَنْهَا فِي سَيْرَةِ أَيَّامِ  
 وَمَا مَنَّا مِنْ لَغْوٍ ⑫ فَاضْرِبْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسِيقْ  
 بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طَلُوعِ النَّفْسِ وَقَبْلَ الْغَرْوِ ⑬  
 وَمِنْ أَلَيْلٍ فَسِيقْهُ وَأَدْبَرَ السَّجْوِ ⑭ وَامْتَزِعْ يَوْمَ  
 بُنَادِ الْعُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ⑮ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصِّيقَةَ  
 بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخَرْوَجِ ⑯ إِنَّا لَنَحْنُ الْحَقُّ وَنَحْنُ  
 وَإِنَّا الْمُعْصِيْرُ ⑰ يَوْمَ تَسْقَى الْأَرْضُ خَبْرُهُمْ مِنْ زَرَاعَةِ  
 ذَلِكَ حَسْرٌ عَلَيْهِ بَسِيرٌ ⑱ حَنْ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا  
 أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِحَالٍ فَلَذِكْرٌ بِالْقُرْآنِ مِنْ بَعْدِهِ وَعِيدٌ ⑲

معنى الكلمات والجمل :

قُرْنَ

: أئم وجماعات كافرة.

بَطْشَا

: قوة وفتكاً.

فَتَّبُوا فِي الْبَلَادِ

: تقلّبوا فيها، وطافوا في أرجائهما،

وملوكها.

هَلْ مِنْ خَيْصٍ؟ : هل هم من مهرب ومكان يغزون إليه من

الموت والعقاب؟

إِنْ فِي ذَلِكَ لِذَكْرٍ : إن في مصارع الطالبين تذكرة وموعظة.

قَلْبٌ وَنَفْسٌ مَحْيَةٌ .

أَوْ أَلْقَى السَّمْعُ وَهُوَ : استمع إلى القرآن ومواعظه حاضر

القلب شهيدا بصدقه.

شَهِيدٌ

: تعب وإعياء.

لَعْوبٌ

أَدْبَارُ السُّجُودِ : بعد السجود وفي نهاية الصلاة.

يَوْمَ يَنَادِ النَّادِ

: يوم الإعلان عن حلول يوم القيمة.

الصِّيَحةُ بِالْحَقِّ : النفخة الثانية، وتكون للبعث من

القبور.

الصِّيَحةُ بِالْحَقِّ

تشقق الأرض عليهم : تتصدع وتتغلق، وتظهر فيها فتحات،

يخرج منها الناس مسرعين.

سَرَاعًا

حشر علينا يسراً : جمع للناس يوم الحساب سهل علينا

وهين.

وَمَا أَنْتُ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَنٍ وَلَا مُبِطِّرٍ، وَلَا  
بِجَارٍ مُّكَرِّرٍ عَلَى الْإِيمَانِ بِالْقُوَّةِ .  
مِنْ يَخَافُ وَعِدَّهُ : الَّذِي يَخْشَى الْعَذَابَ الَّذِي أَعْدَهُ اللَّهُ  
لِلْمُنْعَصِينَ .

### تحذير وتذكرة :

هؤلاء الذين يكذبونك، ويحمدون رسالتك، لا  
يعجزون الله، ولو فكرروا وتدبروا أحوال من سبقهم من الأمم؛  
لعرفوا أنَّ أهْمًا كثيرة من قبلهم، كانوا أشد قوة منهم وأكثر تجبراً،  
ساروا في مشارق الأرض ومغاربها، وغفروا لها وملكوها وفعلوا  
كل ما أمعنتهم عليه قوتهم وكثرةهم، وفي النهاية لم يجدوا مفرًا،  
ولم يجدوا مكانا يهربون إليه، ولم تحمهم قوتهم، ولم يستطيعوا  
التحصن - وراء بطلتهم - من الموت والهلاك والإيادة.

وفي هذا نبيه وعظة، وتذكرة وعبرة، لكل عاقل متذكر،  
يتعظ بغيره، وينفعه ما يهديه إليه تفكيره في أحوال السابقين، أو  
يخرجه من ظلماته التي يعيش فيها على ما يستمع إليه من القرآن  
الكريم بحضور قلب؛ فإنه إذا تدبر ما يسمعه، ووعاه، وسار  
على ما يدعوه إليه، والتزام ما جاء به، وتأمل أمر البعث - وجد أن  
إعادة الخلق الذي أوجده الله من العدم قبل ذلك، لا يحالف ولا  
يقارب خلق السموات والأرض وما بينهما، «تَحَاقُّ السَّمَاوَاتُ

وَالْأَرْضَ أَكْثَرٌ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ»<sup>(١)</sup>.

وَإِنَّ الَّذِي يَقْدِرُ عَلَى خَلْقِهَا فِي أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ، دُونَ تَعْبٍ وَلَا  
إِعْيَاءٍ، وَدُونَ إِرْهَاقٍ أَوْ مُشْقَةٍ - قَادِرٌ عَلَى بَعْثِ الْمُوْتَقَ وَإِعْادَةِ  
الْحَيَاةِ إِلَيْهِمْ مِنْ جَدِيدٍ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ. فَمَا أَهُونَ الْبَعْثُ وَأَسْهَلُهُ  
إِذَا قَسَى بِخَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ!

ثَبَيْتُ وَتَوَجَّهْ :

مَاذَا يَفْعَلُ الرَّسُولُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَمَّا تَكَذِّبُ  
الْمُشْرِكِينَ؟

بِسْمِ اللَّهِ - سَبْحَانَهُ - لَهُ الظَّرِيقُ الَّذِي يَسْلُكُهُ أَمَّا تَكَذِّبُ  
الْمُكَذِّبِينَ، وَرَوْفَقَهُ إِلَيْهِ، فَيَدْعُوهُ إِلَى الصَّرِّ عَلَى مَا يَقُولُهُ  
الْمُشْرِكُونَ فِيهِ، أَوْ فِيهَا جَاءَ بِهِ، وَيَدْعُوهُ كَذَلِكَ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ،  
وَالْتَّسْبِيحِ بِحَمْدِهِ، وَتَنْزِيهِهِ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ،  
وَالْحَرْصُ عَلَى أَدَاءِ الصَّلَاةِ فِي مَوَاقِيْتِهَا، وَبِخَاصَّةِ فَرِيضَتِ الْفَجْرِ  
وَالعَصْرِ، لِعَظَمِ فَضْلِهِمَا، ثُمَّ يَأْمُرُهُ بِإِحْيَا جَزْءٍ مِنَ اللَّيْلِ  
بِالْعِدَادِ وَالتَّهْجِيدِ وَالْإِكْتَارِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ - فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ  
وَبِخَاصَّةِ بَعْدِ كُلِّ صَلَاةٍ؛ فَقِيَ اللَّهُو إِلَى اللَّهِ تَفْرِيعُ الْكَرُوبِ،  
وَتَبْدِيدُ الْمَخَاوِفِ، وَالتَّغلُّبُ عَلَى الصَّعَابِ. وَفِيهِ كَذَلِكَ اسْتِعْدَادُ  
دَائِمٌ لِلْأَمْرِ الْهَائِلِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا مُفْرَّطٌ مِنْهُ، وَهُوَ أَمْرُ الْبَعْثِ  
وَالْحُشْرِ وَالْحُسَابِ.

## يوم القدر :

وهدى به كذلك إلى أن يستمع إلى ما يوحى إليه في شأن الآخرة، وما يكون في هذا اليوم العظيم، ذلك اليوم الذي ينادي فيه المنادي أهل القبور: أن قوموا ل يوم الحساب، وهو قريب منهم يسمعه الجميع، ولا يغفل عن ندائه أحد، فإن الناس في هذا اليوم يسمعون الصيحة المدوية العالية الناطقة بالحق، والمذلة بمحبيه، يوم القيمة ويعلم الجميع في هذا الوقت - دون قدرة على الشك أو الإنكار، أن الخلق والإحياء والإماتة والبعث لله وحده، لا يشاركه فيها مشاركة، وأن العودة والمصير إلى الله سبحانه وتعالى لا إلى غيره.

في ذلك اليوم تتشقق الأرض، وتتفتح فيها فجوات كالأبواب، يخرج منها الناس مسرعين إلى موقف الحساب. وهذا الذي يحدث يسير هين أمام قدرة الله التي لا تحدوها الحدود، ولا يعجزها شيء.

## البلوغ مهمة الرسول :

لُخِّتم السورة ببيان كافٍ، يؤكد للرسول - صل الله عليه وسلم - أن تكذيبهم له، وظلمهم إيه، وتجبرهم في ردهم عليه لا يغيب عن علم الله ، ولذلك فيجب ألا يشغل نفسه بهم ، فحسابهم عند الله ولو سف بجز لهم على سوء صنيعهم أسوأ

الجزاء، ويعاقبهم أشد العقوبة.

وبينَ له أنه لا يملك قهرهم على الإيمان، وإكراههم على الطاعة؛ لأنَّه ليس بجبار ولا مسلط، ولا قاهر مستبد، وإنما هو هادٌ عرشدٌ، ومبشرٌ ومنذرٌ، ومعلمٌ بالقرآن الكريم، يذكر بما فيه، ويبلغُ هُدِيَ الله الذي احتواه لأهل خشيته، الخائفين مما توعَّده به المخالفين من النار والعقاب الأليم.



## التمهيد :

تبدأ السورة بالقسم بائبلهـ هـ تأثيرها الكبير في حياة الناس ،  
مؤكدة أن ما وعذوا به من البعث والحساب واقع لا محالة ، وأن  
ما يرمي به المشركون رسول الله - صلـ الله علـه وسلم - من  
الأوصاف المضطربة كذب وباطل ، وأن سوادهم عن الجزاء  
والحساب استهراً ، سوف تأتيهم الإجابة عنه عاجلاً ،  
وسيصادفون فيه العذاب ، كما يصادف فيه المؤمنون المنقولون نعيم  
الجنة ، فضلاً من ربهـ ، فقد أطاعوهـ ، واستجابوا لنهـذـيهـ في  
حياتهم الدنيا .

ويفتح القسم الأول من هذه السورة عيون المسترشدين إلى  
ما يحيط بهـمـ ، أو يرونهـ في حياتـهمـ ، مما يدلـ على صدقـ الرسـولـ  
في دعـوـتهـ ، وفي كلـ ما يـخـبرـهـ .

كما تغـرسـ السـورـةـ بعضـ قصـصـ الرـسـلـ الـكـرامـ ذـاـكـرـةـ خـبرـ  
ضـيفـ إـبرـاهـيمـ - عـلـيـهـ السـلامـ - مـنـ الـمـلـائـكـةـ الـمـكـرـمـينـ الـذـيـنـ  
مرـواـ بهـ وـهـمـ فـيـ طـرـيقـهـ إـهـلاـكـ قـومـ (ـلـوـطـ) ثـمـ بـشـرـواـ خـليلـ  
الـرـحـمـنـ بـيـشـارـةـ تـسـعـدـهـ وزـوجـهـ ، بـعـدـ قـيـامـهـ بـوـاجـبـ ضـيـافتـهـ ،  
مـعـ الإـشـارـةـ إـلـىـ مـاـ كـانـ مـنـ أـمـرـ زـوجـهـ حـينـ تـلـقـتـ الشـارـةـ .

ثـمـ اـنـتـقلـ الـحـدـيـثـ إـلـىـ مـصـارـعـ الـظـالـمـيـنـ مـنـ الـأـمـمـ الـمـتـجـرـةـ ،

وفي قصصهم عبرة لأولى الآباء .  
وأخيراً انتهت السورة الكريمة بالكشف عن الحكمة والغاية  
من خلق الجن والإنس ، وهي عمارة الأرض بالتوحيد ، وعبادة  
الله ، ونشر الخير الذي بريده سبحانه ، والتأكيد على أنه المتكفل  
بالأرزاق .

\* \* \*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذَرُوا ۝ فَالْحَمْلَاتِ وَقَرَا ۝ فَالْغَرِيَاتِ  
 بَسِرًا ۝ فَالْعَقِيْمَاتِ أَمْرًا ۝ إِنَّا تُوَعِّدُونَ  
 لَصَادِقَ ۝ وَإِنَّ الَّذِينَ لَرَمِعُ ۝ وَالْمُسَاءَدَاتِ  
 الْحُكْمَ ۝ إِنَّكُمْ لَنِي قَوْلُ مُخْتَلِفُ ۝ يُؤْفَكُ عَنْهُ  
 مِنْ أَيْكَ ۝ فَنِلَ الْخَرَصُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي عَمَرَةِ  
 سَاهُونَ ۝ يَسْعَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ ۝ يَوْمَ هُمْ عَلَى  
 أَثْرَ يَعْتَشُونَ ۝ دُوْرُوا فَنَذَرُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ  
 يَوْمَ تُسْتَعْجِلُونَ ۝

معان الكلمات والجمل :  
 الذاريات : الرياح التي تثير التراب والابخرة  
 وتفرقها.

فالحاملات وقرأ  
الثقيل.

: هي الرياح التي تجري بالسحب جريان  
سهلاً فتفرق في كل اتجاه، أو هي السفن  
التي تجري بسهولة في البحار والأنهار.

: الرياح التي توزع الأمطار حسب إرادة  
الله.

: ما وعدتم به من البعث والحساب.  
إن الجزاء والحساب لکائن، ولا بد من  
وقوعه وحصوله.

: ذات الرزينة والطرق التي تسير فيها  
الكواكب، مفردتها حركة.

: مضطرب متناقض في أمر محمد - صلى  
الله عليه وسلم - وما جاءكم به.

: يُصرف عن القرآن والهدى الذي جاء به  
الرسول عليه الصلاة والسلام من زين له  
الشيطان ذلك واستهواه.

: لعن الكاذبون الذين يفترون على  
الرسول والقرآن ما لا علم لهم به.

: جهالة وغفلة ساهون عن أمر الآخرة.

الجاريات يسرا

المقسات أمرًا

ما توعدون

وإن الدين لواقع

ذات الحُبُك

قول مختلف

يُؤْفَكُ عَنْهُ

قتل الخراصون

غمرة ساهون

أيام يوم الدين : متى يكون يوم الجزاء؟  
يفتنتون بخربتون ويعذبون .

ذوقوا فتنتكم : يقال لهم يوم القيمة : ذوقوا العذاب  
جزاء تكذيبكم ومعصيتكم .

قسم وتأكيد :

كان أكثر ما يكذب فيه الكفار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو يوم البعث وما فيه من جزاء ، ثواباً للمحسنين وعقاباً لمن أساء .

لذلك كثُر في القرآن الكريم الحديث عَنْهُ، وتأكيده في أكثر من موقف، وبأكثر من أسلوب وطريقة، وذلك لأهمية الإيمان به، إذ يحتمي الناس في حياتهم من الشرور والآثام، حتى لا يلاقوا جزاءها في الآخرة عذاباً ومهاناً فوق فقدانهم الأمان والطمأنينة والاستقرار والسلامة في الدنيا.

وتبدأ السورة بتأكيد البعث بهذا القسم الذي يتناول أشياء محسومة، يراها الناس، ويتأثرون بها في حياتهم أكبر تأثير، وفيها دلالات قاطعة على قدرة الله سبحانه وتعالى، تبيّنها إلى أنه قادر على خلق هذه الأشياء العظيمة قادر على البعث فال قادر على خلق الرياح وإثارتها للغبار والأتربة والأخراف، وتحريكها في كل اتجاه - قادر على البعث .

وال قادر على خلق السحاب المحمل بال قطر ، تجري به الرياح في السماء ، ثم تسقطه على مناطق من الأرض في الوقت المحدد لها . قادر على البعث . وال قادر على إجراه السفن في البحار والأنهار في بس و سهولة بما يدفعها من رياح ، أو بما يحركها من آلات يسر ل لإنسان اتكارها . قادر على البعث ، والذى بعث الرياح نفسه . على هدى ما أمرها الله به . ما تحمله السحب من أمطار ، تنفع من تنزل عليهم بآيات الزرع ، أو الانتفاع به في السفن ، أو تضررهم ف تكون بلاه أو عقوبة كالسيول الجارفة . قادر على البعث .

يقسم الله في هذه هذه السورة بهذه الأشياء التي يشاهدونها ويعرفون أثرها على أن كل ما وعدوا به في شأن البعث والحساب ، والثواب والعقاب ، صدق كله ، ولا يد من تحققه ووقعه . قال تعالى : « أَتَقْبِلُمْ أَنَّا خَلَقْنَاكُمْ عَنْا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ » (١) كما أن في القسم بهذه المخلوقات تعظيمها لشأنها ، وتوجيهها للقلوب والعقول إلى معرفة أسرارها ، وشكر من أنعم بها .

شك ونكتذيب :

ثم يقسم الحق - تبارك وتعالى - بالسماء الحكمة الخلق ، المحكمة النج ، التي خلقها الله ، وزينها بالكتواب ، وشق لها فيها الطرق والمسارات التي لا تخرج عنها . على أنهم في شك

وأختلاط ، واحتلال واضطراب ، في شأن الرسالة والقرآن ،  
وفي شأن البعث . وهذا التارجع والقلق يدفعهم إلى عدم  
الإصغاء لما جاء عنه في القرآن الكريم نتيجة الاستياع لمن يزين  
لهم التكذيب والبعد عن الحق ، والتغور من الاستقامة والخير .  
فيهم مرة يصفون محمداً بأنه ساحر ، ومرة أنه شاعر ، وأخرى أنه  
كافر أو مجنون ؛ وهم في أمر البعث والأخرة كذلك حائرون  
مضطربون . إن هؤلاء الكاذبين المكذبين يتظرون بعذاب شديد  
لعقلتهم عن الحق ، وانصرافهم عن التدبر والتفكير ، وسهولهم  
عن أثر كل شيء من حوطهم يدهم على أن القيامة ضرورة ،  
فمحال أن يتساوى من يحسن مع من يسيء أو من يفعل الخير  
ومن يفعل الشر ، فتحن هنا في حياتنا الدنيا لا تقبل هذا في  
تعاملنا ، فكيف يكفر من يكفر ، إذا جاء به عدل رب العالمين ؟

لعن هؤلاء الخراسون الذين يفتررون على الله الكذب ،  
والمكذبون بالأخرة الغارقون في العقلة والجهالة والضلال . فهم  
يسألون مستهزئين : متى هذا اليوم الذي نحاسب فيه على  
أعمالنا ؟ فترد عليهم الآيات بأن ذلك قريب ، ويومها يلقون في  
النار الحامية الشديدة ، ويقال لهم : هذا ما كنتم تكذبون به ،  
وستعجلون معرفته ، ووقعه ، والوصول إليه ، وكنتم  
تستبعدون أن يكون ، ولا تصدقون أنكم سوف تخرجون من  
قبوركم للحساب والجزاء .

\* \* \*

إِنَّ الْمُتَقِبِّنَ فِي جَهَنَّمْ وَعِرَقْ<sup>١٥</sup>  
 أَخْذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبِّهِمْ إِنَّمَا كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ  
 نُحْيِنَ<sup>١٦</sup> كَانُوا قَلِيلًا مِنَ الظَّلَلِ مَا يَجْعَلُونَ  
 وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَشْغَلُونَ<sup>١٧</sup> وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلصَّابِلِ  
 وَالْمُحْرَمٍ<sup>١٨</sup> وَفِي الْأَرْضِ مَا يَأْتِي لِلْعُوْقَبَيْنَ<sup>١٩</sup>  
 وَفِي النُّفُكَ أَفَلَا يَبْصِرُونَ<sup>٢٠</sup> وَفِي السَّمَاءِ وَرِزْقُكُّ  
 وَمَا تُوعَدُونَ<sup>٢١</sup> فَوْرَبِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّمَا لَهُ  
 قِلَّ مَا أَنْكُرُ تَطْغَوْنَ<sup>٢٢</sup>

معانٍ الكلمات والجمل :  
 أخذين ما آتاهم : راضين بما من عليهم به من التعيم  
 ربهم : التكرير .  
 يهجعون : ينامون .  
 الأسحار : جمع سحر، وهو آخر الليل .

نصيب معلوم هو الزكاة أو حق سوى  
الزكاة لتسائل الذي يسأل الناس لفاته،  
والمحروم المتعطف الذي لا يسأل بargin  
احتياجه.

حق للسائل  
والمحروم

آيات للموقنين : علامات لأهل اليقين والإيمان .  
مثلكم ما أنكم : مثل كلامكم الذين تتطلعون به .  
تنطرون  
المتفون وجزاؤهم :

المتفون هم الذين استجابوا الرسول الله - صل الله عليه وسلم - وأهتوا به، واستقاموا على الطريق الذي هداهم إليه،  
ودفعهم عليه، فاحسروا الإيمان، وأحسروا العمل وأدوا فرائض  
الله كاملة كما طلبها ، وزادوا على ذلك عن طريق التسطع في  
العبادات والأعمال الصالحة، فنومهم قليل ، لأنهم يصومون  
الليل ، فيصلون والناس نائم ، **﴿تَجْأَجِّنُوْهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُوْنَ**  
**رَبَّهُمْ خَرْقًا وَطَعْمًا وَمَارْزَقُهُمْ يَنْفِقُوْنَ ﴾** (٢٦) . ويقرءون القرآن الكريم ،  
ويستغفرون الله ، ويسبحون بحمده ، ويدكرونه ، ويحمدونه  
على ما جيدهم به من نعم ومن هداية ، لا يخلون بأموالهم ،  
وإنما يعطون منها الفقراء والمحرومين الحق الذي فرضه الله لهم  
وهو الزكاة ، وقد يرجبون على أنفسهم نصيباً سوى الزكاة

(١) سورة الحج / الآية ٢٦

يفرجون به الكربات ويقضون الحاجات .

لذلك كلّه أعزّهم الله وكرّهم ، وهبّا لهم من النعيم في الجنة  
فوق ما كانوا ينتظرون ، وأعطاهم كلّ ما يستهون وزِيادة فأخذوه  
حامدين شاكرين راضين ، فرّحين بقبول أعباءهم ، ونجاتهم من  
العذاب ، وقد رضي الله - سبحانه وتعالى - عنهم ورضوا عنه .

تبيّن وتنذير :

لو تأملنا الكائنات من حولنا في تعقل وتفكير ، لوجدنا دلائل  
كثيرة على قدرة الله وعظمته ، تدعو إلى الطاعة مع الإيمان وتحث  
على الاستقامة والهدى ؛ لأن كلّ شيء بيد الله ، وأهل طاعته  
هم أهل حسنة ، يحبّهم ويعينهم ومحفظهم ، ويعلى من شأْنهم  
وينصرهم ولا يعين عليهم ولا يضيعهم .

من هذه الدلائل التي نراها في كل يوم ، مظاهر الحياة عندما  
تطلع الشمس ، ومظاهر السكون عندما تغيب وتبعُج الكائنات  
بالليل ، فقد جعل الله لنا التهار للمعاش ، وجعل الليل للراحة  
والسکن .

ومن الدلائل هذه الأرض التي تحيا عليها ، وما نرى فيها  
من آيات لا ينتهي منها العجب ، نراها قفرًا جرداً ، لا نبات فيها  
ولا حياة ، فإذا نزل عليها الماء اهتزت ، وأنبتت أنواعاً من  
النبات والثمار مختلفة الأشكال والألوان والطعوم ، وفضل

بعضها على بعض عند الأكل . وكذلك ينزل الماء على ارض  
فيست ، وعلى اخرى فلا يكون له فيها ادنى تأثير ، وفي الارض من  
الايات ما لا تستوعبه معارفنا بعد ، فسبحان من هبها  
بخصائصها الكثيرة ، حتى تكون صالحة لاستقبال الحياة . إن  
دلائل قدرة الله كثيرة من حولنا ، ولكن الذين يمكن ان يتفعلا  
بها هم أهل اليقين والتدبر والوعي الذين يسعون إلى الحق ،  
فإذا عرفوه آمنوا به .

### عظة الإنسان في عجائب تكوينه :

أكثر من ذلك وأقرب منه ، أنفسنا ، لو تدبرناها وتأملنا شانها ،  
وتقلبات أحوالها ، كيف بدأنا ؟ ومن اي شيء ؟ وكيف نعمل  
مكوناتنا الجسمية والنفسية والعقلية ؟ من أين يأتينا الطعام وأين  
يدهب ؟ وكيف يوزع داخلي ؟ وماذا يبقى منه ؟ نفرح  
ونحزن وننام ونستيقظ ونتعلم ونجهل ، ونعمل وتکسل ؟  
لو حاولنا التفكير في ذلك وغيره كيف يتم في داخلنا ومعنا -  
لا دركنا عظمة الله سبحانه وتعالى ، وعظم قدرته ، ودقة  
صنعته ، وإحكام خلقه ، ولكن لنا من وراء ذلك بصر  
بالحقيقة ، وإحاطة بما يدعونا إليه ، ولها طاعة الكاملة لله  
هي طريقة كل الأحياء .

## أين الرزق ؟

يسعى الناس في حياتهم وراء الرزق ، ويعملون في مختلف الأعمال ليحصلواه ، وهذا واجب وصواب ، ولكن بعض الناس قد يسلك طريقاً منحرفاً لجمع المال ، ويسعى للحصول عليه بوسائل قد لا تكون مباحة أو حلالاً . هؤلاء ينسون أن الله - سبحانه وتعالى - هو الرزاق وحده ، وأنه قدر الأرزاق وقسمها ، وأنه الذي أمر به يجعل المال مباركاً فيه ، وأن الانحراف حتى لو أدى بالمال الكثير فلا خير فيه ، ولا بركة معه ، لأن الرزق هو ما أحله الله فقط ، وقد بيّنت طريقة تحصيله هداية الله ورسالة التي نزلت على رسوله .

واجب على الناس أن يعلموا أن أرزاقهم بيد الله ، وما كان بيد الله سبحانه وتعالى وتقديره إلّا يُؤخذ بالصلاح والتقوى ، والطريقة القوية ، والسلوك المستقيم . كما أنه من واجب الإنسان إلا يكون أسيئلاً للأسباب الظاهرة للرزق ، ثم يغفل عن مسبب الأسباب ، بل لا بد أن يربط قلبه بمقسم الأرزاق والمتكفل بها خلقه . وأن يوقن كذلك بأن ما توعده به في الدنيا والآخرة مكتوب لنا في اللوح المحفوظ ومقدّر ، لا يختلف حصوله ، ولا يتأخر عن وقته المحدود .

## كل ما جاء به الرسول حق :

لقد أقسم الله تعالى بذاته وربوبيته للسموات والأرض : على أن كل ما جاء في الآيات التي سبقت الحساب والثواب والعذاب والآخرة، وما يجزي به أهل المغصبة، أو يكافأ به أهل الطاعة، والدلائل المبنونة في الأرض، وفي النفس، على قدرة الله وعظمته، واستقرار الأرزاق وما نوعد به في السماء - كل هذا حق لاشك فيه، كهذا الكلام الذي نطقه، وتلفظ به، فإذا كان المتكلم لا يشك في أنه ينطق حين يتكلم، فكذلك كل ما سبق في الآيات لا ينبغي الشك فيه؛ لأنه حق وصدق.

\* \* \*

الآيات من (٢٤) إلى (٣٠) من سورة الداريات

هَلْ أَتَتْكُ حَدِيثُ ضَيْفٍ  
 إِبْرَاهِيمَ الْمُكَرَّمِينَ ⑭ إِذَا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا سَلَامًا قَالَ  
 مَلِئَ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ⑮ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ بَكَاءٌ يُعْجِلُ  
 سَعْيَ ⑯ فَقَرَبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ إِلَّا تَأْكُونُ ⑰ فَأَوْجَسَ  
 مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبِرْوَهُ يُغَلِّمُ عَلَيْهِ ⑱  
 فَأَقْبَلَتِ امْرَأَهُ فِي صَرَرٍ فَصَنَعَتْ رِجْهَهَا وَقَاتَتْ بَحْرَوْزَ  
 عَرَقِهِمْ ⑲ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ وَبَكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ  
 الْعَلِيمُ ⑳

معان الكلمات والجمل :

قوم مكررون : قوم غرباء غير معروفيين لنا.  
 فراغ : ذهب متخفيا.  
 فأوجس منهم خيفة : أحس في نفسه خوفاً منهم حين اشتعلوا  
 عن تناول طعامه.

فاَقْبَلَتْ اُمْرَأَتُهُ فِي صَرْخَةٍ وَصِبَاحٍ .  
 فَصَكَّتْ وَجْهَهَا : ضَرَبَتْ وَجْهَهَا بِاطْرَافِ اصْبَاعِهَا فِي  
 تَعْجِبٍ .  
 عَفِيمٌ : عَافِرٌ لَا تَلِدْ .  
 اِكْرَامُ الصَّيفِ :

بَعْدَ أَنْ يَبْيَأَتِ الْآيَاتُ قَدْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى شَانَهُ عَلَى الْخَلْقِ  
 وَالْإِعْادَةِ، وَبَيَّنَتْ جِزَاءَ أَهْلِ الإِيمَانِ وَالْيَقِينِ، وَمَا يَتَظَرَّ أَهْلُ  
 الْكُفْرِ وَالْتَّكْذِيبِ، وَمَا دَعَتْ إِلَيْهِ مِنْ تَبَصُّرٍ وَتَغْكِيرٍ فِي آيَاتِ  
 اللَّهِ، وَحَسَنَ اللَّجوءِ إِلَيْهِ، وَالْإِقْبَالِ عَلَى هُدَيْهِ وَدِينِهِ - شَرَعَتْ  
 بَعْدَ ذَلِكَ فِي بَيَانِ مَا كَانَ مِنْ شَانِ الرَّمَلِ السَّابِقِينَ مَعَ  
 أَقْوَامِهِمْ، وَمَا قَابَلُوهُمْ بِهِ مِنْ تَكْذِيبٍ، وَمَا حَلَّ بِهِمْ نَتْيَةً ذَلِكَ  
 مِنْ تَدْهِيرٍ وَإِهْلَاكٍ .

وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ تَحْدَثَتْ عَنْهُمْ الْآيَاتُ - فِيهَا بَعْدَ - هُوَ سَيِّدُنَا  
 (لَوْط) الَّذِي قَدَمَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمَكْرُمِينَ عَنْ دِرْبِهِمْ  
 لِإِهْلَاكِ مَنْ كَذَّبُوهُ وَخَرَجُوا عَلَى الْإِسْتِقْامَةِ الَّتِي يَهْدِي إِلَيْهَا اللَّهُ .  
 وَفِي طَرِيقِهِمْ إِلَى لَوْطٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - دَخَلُوا عَلَى سَيِّدِنَا  
 إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلِ الصَّلَاةِ وَأَتَمِ السَّلَامِ -  
 وَاسْتَقْرُوا فِي خَيْرَاتِهِ بَعْضَ الْوَقْتِ .

فتحكي الآيات لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما كان  
 من شأن سيدنا (إبراهيم) معهم ، وكيف سلموا عليه عند  
 دخوبهم ، فرد عليهم التحية ، وأعلمهم أنه لم يرهم من قبل ،  
 وإنهم غرباء عن المكان ، ومع ذلك فقد استضافهم في بيته ،  
 وأفصح لهم فيه ، ورحب بهم ترحيباً يؤمن بهم ، ويبعد الوحشة  
 عن نفوسهم ، ثم سارع إلى أهله متسللاً خفية ، وأخبر أهله  
 فأعدوا لهم طعاماً يناسب فضل إبراهيم عليه السلام وبدل على  
 جوده وكرمه ، وجاءهم بعجل سمين مشوي فوضعه بين  
 أيديهم ، ثم دعاهم إلى الطعام في تلطف ورجاء فلم يتقدموا  
 إليه ، وكان من عاداتهم يومئذ أن يأكل الضيف مما يقدم إليه من  
 طعام إلا إذا كان لا ينوي بعصيقه خيراً ، فإنه لا يتقدم ولا يأكل .  
 من أجل ذلك أحس سيدنا (إبراهيم) الخوف ، وتسوّق منهم  
 الشر .

#### إشارة :

لاحظ ضيوف (إبراهيم) عليه السلام تغيير وجهه ،  
 وعلامات الخوف التي ظهرت عليه ، فطمأنوه ، وأعلموه أنهم  
 ملائكة ، والملائكة غير البشر ، لا يأكلون ولا يشربون ، وأعلموه  
 أنهم رسول الله . . .

ثم شرّوه إشارة لم يكن يتوقعها ، وهي أن أمراته (سارة)

ستله خلاماً يثبّت ويُكْبر، ويصبح واسع العلم.

سمعت زوجه ذلك، وكانت في صباها عاقراً لا تلد، وقد أصبحت عجوزاً كبيرة السن، فادهشها ما سمعت، وأسرعت اليهم صائحة في عجب تضرب وجهها باطراح أصابعها زيادة في الدهشة، وتقول: أللـ وـأـنـ في هـذـهـ السـنـ الكـبـيرـةـ، معـ اـنـ عـاقـرـ عـقـيمـ مـاـ وـلـدـتـ فيـ سـنـ الصـبـاـ ١١٩ـ وـنـسـيـتـ أـنـهـ بـشـرـيـ المـلاـئـكـةـ.

ثم يأتيها الرد من رسول الله؛ بأن ذلك أمر الله ومشيخته، رامره لا يخالف، وقدره لا يجدها المأثور للبشر، وعلمه بحال خلقه وما يصلح لهم يجعل كل ما يفعله لهم حكمة بالغة، فهو الحكيم في كل ما يفعل، وإذا فعل ففي الوقت المناسب، وهو العليم الذي أحسن كل شيء خلقه، ووخصوصه موضعه، ولا يعجزه شيء يربكه، ويعلم أمال الناس وما يسعدهم، فيكرم أولياءه بما يهيج حياتهم، ويسر خواطرهم، ويقر عيونهم في الدنيا قبل الآخرة.

\* \* \*

○ أودع بمركز المعلومات التربوية تحت رقم ٧٧٥ بتاريخ ١٩٨٦/٥/٢١

مطلع الرسالة - الكوب



المدرسة:

اسم الطالب

الصف:

السنة الدراسية: